التحقيقات الأثرية

على بعض دروس الشيخ زيد المدخلي العلمية ومعها

(كلمة في رثاء شيخنا العلامة زيد بن محمد هادي المدخلي)

كتبها

أبو عبد الله

وائل بن علي بن أحمد الأثري

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فقد قمت فيما مضى بالعناية ببعض دروس شيخنا العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي – رحمه الله – وذلك بتفريغها وتحقيقها والتعليق عليها مع الحرص على إبرازها بصورة مرضية يرتضيها الشيخ لو رآها وليستفيد القارئ منها أيضاً ، وقد قمت بنشرها على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ليعم النفع بها وتكون باباً من أبواب الخير العظيم لي ولشيخنا المبارك – رحمه الله – فإن العلم مما ينتفع به العبد بعد موته كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ، وهذه الدروس التي قمت بتفريغها وتحقيقها حسبما يقتضيه الحال والمقام هي كالآتي :

١ - لقاء الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي بطلبة العلم السلفيين بسوهاج عبر الهاتف .

٢ - فقه الدعوة ونعوت الداعية .

٣ - الكلمة الختامية للدورة القرعاوية لعام ١٤٣٢هـ .

٤ - تفسير قوله تعالى (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) .

وقد بدا لي أن أجمع هذه الرسائل في كتاب يضمها جميعاً في مكان واحد وعنونت له بـ(التحقيقات الأثرية على بعض دروس الشيخ زيد المدخلي العلمية) وقد بدا لي أيضاً أن أضيف في خاتمته رسالتي التي رثيت بها شيخنا الحبيب بعد وفاته وهي بعنوان (كلمة في رثاء شيخنا العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي) والله أسأل أن ينفع بالكتاب جميع المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وأذكر القراء – وإن كنت قد نبهت على هذا في مواطن من كتابـــاتي – بـــأنني لم أر الشيخ ؛ وإنما تتلمذت عليه من خلال ملازمة حضور دروسه المباشرة عـــبر الـــشبكة العنكبوتية (الإنترنت) وعرض أسئلتي عليه ، وكذلك عبر الهاتف أيضاً ، واستماع مـــا هو مسجل له من شروح ونحوه ، واقتناء جل كتبه والاستفادة منـــها ، فهـــو بحـــق موسوعة علمية كبيرة ؛ فرحمه الله رحمة واسعة وأدخله فـــسيح جناتـــه مـــع النبـــيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

الأربعاء : ٥/ ربيع أول / ١٤٣٧هـــ

alsalafy1433@hotmail.com

لقاء الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

بطلبة العلم السلفيين بسوهاج عبر الهاتف

تحقيق وتعليق

أبي عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فبين يدي القارئ الكريم رسالة بعنوان (لقاء الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي بطلبة العلم السلفيين بسوهاج عبر الهاتف) وأصل هذه الرسالة لقاء عبر الهاتف تم في يوم الأربعاء الموافق : ٨ / رجب / ١٤٣٠هـ وقد بدا لي تفريغ اللقاء والقيام على تحقيقه والتعليق عليه ليستفيد منه القارئ حتى صار بالصورة التي بين يديك .

ولا شك أن مثل هذه اللقاءات من الأهمية بمكان ؛ لأن فيها الارتباط الوثيق بأهل العلم الثقات ؛ خاصة ونحن في زمان يشق فيه الرحلة إلى العلماء الربانيين وذلك بسبب عدم القدرة على مؤنة الرحلة أو بسبب المنع من الخروج من بلده ، ولا شك أن الرحلة في طلب العلم سنة السلف الأول بداية من صحابة النبي – صلى الله عليه وسلم – فمن بعدهم ممن سار على نهجهم واقتفى أثرهم .

والأصل أن العالم يؤتى له ؛ فإن أتى هو لبلد ما يعلمهم ويصحح لهم عقيدتهم وشريعتهم فتفضل من عنده .

فإذا شقَّ على طلاب العلم الرحلة إلى العلماء لسبب ما ؛ فينبغي عليهم ألا يفوتوا الفرصة عليهم فيتصلوا بهم وينتفعوا من علمهم فما لا يدرك كله لا يترك جله ، فليتعاونوا في مؤنة كلفة الاتصال عبر الهاتف ببعض العلماء ولو مرة كل وقت ليكونوا على صلة بأهل العلم ؛ حبذا لو جعلوا لهم كتاباً يقرأونه عليه ويوضح لهم ما تضمنه من فقه وعلم حتى يسدد الفهم وينجوا من الزلل الذي قد يطرأ عليهم بسبب بعدهم عن أهل العلم والتتلمذ على الكتب وفهمها فهماً مستقلاً خلاف ما فهمه أهل العلم

السائرين على منهج السلف ، لذلك حذر العلماء قديماً وحديثاً من التتلمذ على الكتب استقلالاً بلا شيخ ، فإن الشيخ يسدد للطالب الفهم ويختصر له الوقت .

فحري بطلبة العلم أن يجدوا ويجتهدوا في التواصل بالعلماء السائرين على منهج السلف فيستفيدوا منهم ويتبصروا بأمور الحق ، وقد يسر الله تبارك وتعالى هذا الأمر الآن عن طريق الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) فكم من عالم تبث دروسه المباشرة عبر هذه الشبكة فيستفيد الكثير والكثير من الناس على مستوى العالم ، ومن هؤلاء شيخنا زيد – حفظه الله – فإن دروسه اليومية تنقل نقلاً مباشراً يستفيد منها القاصي والداني وأنا من جملة المستفيدين ولا شك فقد حضرت العديد والعديد من دروسه وشروحه فنفعني الله تعالى بذلك[1] والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وحرصاً منا على التواصل بالعلماء قمنا بإجراء هذا اللقاء المهم الماتع مع شيخنا العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي – حفظه الله – وقد تكلم فأجاد وشرح فأفاد فجزاه الله عنا وعن المسلمين كل خير .

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

الجمعة : ٢٨/ ذو القعدة / ١٤٣١هـ

[1] - من هذا النفع الكبير الذي منَّ الله به على العبد الفقير ؛ هو عرض أسئلتي الكثيرة على شيخنا – حفظه الله – في دروسه ؛ ومن ثم جمعها في مصنف مستقل يصدر قريباً إن شاء الله الجزء الأول منه بعنوان (مجموع سؤالات أبي عبد الله وائل بن علي بن أحمد الأثري للشيخ العلامة زيد بن هادي المدخلي) ويحتوى على مائة سؤال بأجوبتها ؛ والثاني مثله يسر الله إخراجه .

لقاء الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي
بطلبة العلم السلفيين بسوهاج عبر الهاتف

أجمعين أما بعد[٢] :

فدعوة الله تبارك الله تعالى هادفة بالخير ، التي الغرض منها التفقه في دين الله تبارك وتعالى[٣] ، والتفقه في دين الله سبيل المؤمنين ، (ينتقل إنقاذ)[٤] النفس ، من الجهل ، وليكون المسلم المكلف من ذكر وأنثى على بصيرة بأمر دينه[٥] .

وسلوك طلب العلم والسير عليه في الحسب علمي علامة على الخير والفلاح كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – :" من يرد الله به خيراً يفقه في الدين "[٦] .

ولا يحصل الفقه لشخص ما إلا إذا سلك طريق التفقه في دين الله تعالى[٧] ومصدر الفقه معلوم لكل ذي عقل هو كتاب الله عز وجل وصحيح سنة النبي – صلى الله

---

[2] - المقدمة مقطوعة في التسجيل ولا يظهر منها إلا ذلك ، ولكن قد اعتاد الشيخ أن يفتتح دروسه غالباً بهذه المقدمة (الحمد لله رب العالمين ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،، أما بعد :)اهـ

[3] - التفقه أي طلب الفقه ؛ والفقه معناه في اللغة الفهم ، وفي اصطلاح العلماء : هو معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية . والمراد من كلام الشيخ به هنا فهم الدين عقيدة وشريعة بفهم السلف الصالح .

[4] - كلمة غير مفهومة .

[5] - وذلك بأن يكون على علم يصحح به عقيدته وعبادته لله سبحانه وتعالى فيحظى بالأجر ويبتعد عما حرم الله تبارك وتعالى فينجو من الوزر ومن مغبة العقاب المترتبة على ذلك إذا لم يغفر الله له ذلك الذنب .

[6] - متفق عليه : البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) ؛ قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ١٦٤) طبعة دار الفكر : (ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين ؛ أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حرم الخير .)اهـ .

عليه وسلم – [٨] وما استمد منهما كعلوم السلف الصالح الذين وجهوا عنايتهم بكتاب ربهم تلاوة واستنباطاً للمعاني ومعرفة للأحكام[٩] ، وهكذا مع سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – حرصوا على أخذ الحق الذي ينبغي أن يحرزه المسلم والمسلمة[١٠] .

---

[7] - وهذا هو الحق ؛ بخلاف ما تزعمه الصوفية بأن هناك ما يسمى بالعلم اللدني بأن يكون الرجل جاهلاً وفجأة يقذف العلم في قلبه من غير سعي منه للتعلم وهذا محض الكذب على الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وأما استشهادهم بقصة موسى والخضر – عليهما السلام – فلا حجة لهم فيها إذ أن الخضر كان نبياً أوحى الله إليه ببعض الأشياء التي أخفاها عن موسى عليه السلام والدليل ما جاء في القصة نفسها قال تعالى على لسان الخضر ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ أي كل ذلك كان بوحي من الله تبارك وتعالى .

[8] - هذا قيد مهم جداً من شيخنا – حفظه الله – وذلك لأن السنة المدونة في كتب العلماء على أقسام ؛ منها الصحيح ومنها الحسن والضعيف بل والموضوع ، ولا حجة إلا فيما صح سنده أو كان مقبولاً كما إذا بلغ رتبة الحسن وأما الضعيف فضلاً عن الموضوع فلا حجة فيه وهذا هو الراجح من كلام المحققين من أهل العلم .

وأما من قال بأن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال فليس لقوله نصيب من الصحة لأن فيما صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – غنية عن الضعيف ، ولقد أدى هذا القول إلى انفلات كبير عند كثير من الناس إذ لم يكتفوا بالاستشهاد بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال فقط ؛ بل احتجوا به في الأحكام الشرعية وإذا اعترضت عليهم قالوا : الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال ! فكأنهم لا يميزون بين الفضائل والأحكام ؛ مع أن الكل شرع فليتقوا الله تعالى من نسبة شيء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يقله ولم يثبت عنه ذلك .

بل إنني أتعجبت كثيراً إذا قرأت في بعض الكتب ووجدت مؤلفيها يستشهدون بالضعيف تأييداً لقول مذهبهم ! وكان الواجب عليهم أن تكون غيرتهم على الشرع أكثر من غيرتهم على مذهبهم وإمامهم .

[9] - وذلك كالكتب التي اعتنت بتفسير القرآن الكريم وعلومه والحديث وعلومه والفقه وأصوله وهكذا .

[10] - وهذا هو الذي ينبغي على كل مسلم ومسلمة أن يحرص على أخذ الحق بدليله ؛ لا أن يتعصب للأشخاص ويقلدهم تقليداً أعمى تاركاً للدليل فإن هذا تعصب ذميم وأمر مذموم .

وقد بشر النبي – صلى الله عليه وسلم – طالب العلم الذي يسلك طرقاً طرقه أو ما تيسر له من طرقه بشَّره بخير البشارة كما في قوله عليه الصلاة والسلام :" من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له ما في السماوات وما في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، ثم العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر "[١١] .

فالحمد لله[١٢] ، يجب على كل عاقل من المسلمين والمسلمات أن يأخذ حظه من العلم الشرعي لينتقل من الجهالة إلى العلم ، فالجهل داء والعلم شفاء لما في الصدور[١٣] ، شفاء من الأمراض ؛ من أمراض الشبهات والشهوات[١٤] .

---

11 - صحيح : رواه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وصححه الألباني في المواضع السابقة وفي صحيح الجامع (٦٢٩٧) وقال في المشكاة (٢١٢): حسن . وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠): حسن لغيره.

12 - نعم صحيح ؛ الحمد لله على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة التي لا تعد ولا تحصى كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ .

13 - قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – :

والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران في الترتيب متفقان

علم من القرآن أو من سنة وطبيب ذاك العالم الرباني

فليجتهد طالب الحق من ذكر وأنثى في تحصيل العلم الشرعي من نصوص الكتاب والسنة على يد بعض أهل العلم الربانيين الذين يسيرون على منهج السلف الصالح ، لا أن يتلقى العلم على بعض الحزبيين وأصحاب المناهج الضالة فإن هذا ضرره أكثر من نفعه وكفاه إثماً بذلك أنه بعيد عن هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحبه الكرام – رضي الله عنهم – فلينتبه لذلك كل عاقل رام الحق والوصول إليه .

14 - نعم صحيح ؛ فإن أمراض القلب المعنوية لا تخرج عن هذين الحالين :

- إما أمراض شبهات .

لا تعالج أمراض الشهوات والشبهات إلا بالعلم الشرعي المستمد من كتاب الله عز وجل ومن سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

وقد (أدرك)[١٥] العلماء أهمية العلم الشرعي وفضله وصنفوا فيه مصنفات[١٦] ودعوا الخليقة كلها ليكونوا على بصيرة بأمر دينهم[١٧] ، لأن العلم الذي يعمل به صاحبه

- وإما أمراض شهوات .

فأمراض الشبهات تورث الشك في القلب ، وخطرها عظيم لأن من تلبث بها يظن أنه على هدى وحق وغيره على باطل ! لذلك قلَّ أن يتراجع صاحب بدعة عن بدعته لأنه يتدين بذلك ويقاتل عليه ، ولا سلامة للعبد من ذلك إلا بالعلم الشرعي الصحيح (قرآناً وسنة بفهم سلف الأمة) فإن العلم يقصم الشبهات ويفتكها .

وأما أمراض الشهوات فإنها تلوث القلب بالمعصية ؛ وإذا ما تلوث القلب ضعف نقاؤه وكلما ازداد من المعصية كلما ازداد التلوث حتى يصير قلباً أسوداً عياذاً بالله تعالى ، والعكس بالعكس كلما ابتعد عن المعصية كلما زاد نقاء القلب ويصير ناصع البياض .

ولا شك أن علاج أمراض الشهوات يكون كذلك بالعلم الشرعي ، فإن المرء كلما تبصر بشريعة الله تبارك وتعالى كلما ازدادت خشيته لله فابتعد عن المعاصي التي أساسها الشهوات وأقبل على عبادة ربِّ الأرض والسماوات .

وقد قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – في مقدمة منظومته القواعد الفقهية :

اعلم هديت أن أفضل المنن علم يزيل الشك عنك والدرن

ويكشف الحق لذي القلوب ويوصل العبد إلى المطلوب

وعلى هذا فحري بكل مسلم أن يجد ويجتهد في طلب العلم الشرعي على أيدي العلماء الربانيين ليتخلص من أمراض الشبهات والشهوات ويحافظ على قلبه حتى ينجو من عذاب الله تعالى .

15 - كلمة غير مفهومة .

16 - فقد ضمَّن أهل العلم مصنفاتهم كتاب العلم ككتاب العلم من صحيح البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة ، ومن العلماء من أفرد كتاباً خاصاً بذلك ككتاب (جامع بيان العلم وفضله) للإمام أبي عمر ابن عبد البر – رحمه الله – فإنه مفيد ونافع فليستفد طالب العلم مما ذكره أهل العلم عن أهمية العلم وفضله فإن هذا مما يعلي الهمة ويدفع الطالب إلى طلب المزيد من العلم فإن من ذاق حلاوة العلم لا يشبع منه كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – :" منهومان

سبب عظيم في دخول الجنة ورضا الله تبارك وتعالى[١٨] ، والجهل على العكس من ذلك سبب في دخول النار ، وسبب في سخط الله عز وجل[١٩] .

على من أكرمه الله تبارك وتعالى بالإسلام[٢٠] وأن الإسلام لا يعرف إلا بالتعلم والتفقه فيه[٢١] ، من أكرمه الله تبارك وتعالى بذلك وألهته دنياه عن العمل لآخرته فهو خاسر كما قال المولى الكريم ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا " وهو حديث صحيح رواه البزار (٤٨٨٠) والطبراني في الكبير (١٠٣٨٨) وابن عدي في الكامل (١٧٨٤) والحاكم في المستدرك (٣١٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولم أجد له علة ؛ ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٢٤) .

[17] - وذلك لأن المرء يطلب العلم أولاً ليخلص نفسه من الجهل بالدرجة الأولى ؛ ومن ثم يدعوا غيره ليخلصهم من جهلهم بالدرجة الثانية ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

[18] - وذلك لأن بالعلم الشرعي يصحح العبد عقيدته وعبادته لله تبارك وتعالى ويبتعد عما حرمه عليه فيحظى بالجنة وينجو من النار ، وقد تقدم آنفاً قول النبي – صلى الله عليه وسلم – :" من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة " .

[19] - المراد بالجهل هنا ؛ الجهل الذي يوقع صاحبه في الشرك أو في كبائر الذنوب التي جاء الوعيد بأن فاعلها في النار أو استحق دخول النار ، ومن وقع في شيء من ذلك سخط الله عليه بقدر جرمه وجريمته ، فإن كان الذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى إن شاء غفر الله بمحض فضله وإن شاء عاقبه بمحض عدله .

[20] - سواء كان كافراً فأسلم أو نشأ في ذرية مسلمة ، فهذا من كرم الله وتوفيقه للعبد إذ لو شاء الله لأضله وأشقاه كما أشقى غيره وأضله فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فليدرك المسلم عظم هذه النعمة العظيمة وليشكر الله عليها .

[21] - إذ ليس هو مجرد نطق للشهادتين فقط ؛ وإنما لابد من الإتيان بما تضمنته من معاني وشروط لابد من فعلها ونواقض يجب الحذر منها وهذا لا يكون إلا بالتعلم والتفقه في الدين .

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾[٢٢] ، فهذه أول علامات من علامات أولياء الله الصالحين المتقين : (الإيمان) .

والإيمان[٢٣] كما تعلمون كما عرفه أهل السنة والجماعة :

نطق باللسان : كالنطق بالشهادتين مع فهم معناهما (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)[٢٤] وسائر الأقوال من واجبات ومستحبات المستمدة من الكتاب والسنة[٢٥] .

---

22 - (سورة العصر آية : ١ - ٣) .

23 - يلاحظ هنا أن شيخنا زيداً – حفظه الله – عرف الإيمان بمعناه الشرعي ؛ ولم يتعرض لذكر معناه اللغوي ؛ وقد عرفه أهل العلم بعدة تعريفات في اللغة أرجحها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في كتابه (الإيمان) وخلاصته أن الإيمان في اللغة هو الإقرار مع التصديق الجازم الذي يتبعه عمل .

24 - والشهادتان هما أول ما يدخل العبد بهما في الإسلام ولابد من النطق بهما جميعاً فلو أن رجلاً نطق إحداهما ولم ينطق الشهادة الأخرى لم يكن مسلماً ، ولابد من تحقيق مقتضياتهما فيأتي بركني الشهادة الأولى (لا إله إلا الله) وهما النفي والإثبات ؛ فينفي جميع الآلهة التي تعبد من دون الله تعالى ويثبت العبادة لله وحده لا شريك له ، ويحقق الشروط السبعة التي عرفت باستقراء نصوص الكتاب والسنة وهي :

١ - العلم .
٢ - اليقين .
٣ - القبول .
٤ - الانقياد .
٥ - الصدق .
٦ - الإخلاص .
٧ - المحبة .

وقد جمعها الشيخ حافظ الحكمي في قوله في منظومته سلم الوصول :

العلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول

واعتقاد القلب : الإيمان عقيدة ؛ عمل قلبي أيضاً بحيث يعتقد ما نطق بلسانه يعتقده بقلبه[٢٦] .

وعمل بالجوارح : على اختلاف أنواع الأعمال ؛ من فرائض وواجبات ومستحبات ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي .

ومن عرَّف الإيمان بغير ذلك فقد خالف السلف الصالح في علمهم وعملهم بقدر ما خالفهم فيه[٢٧] .

والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

ويأتي بما يتعلق بالشهادة الثانية بأن يؤمن بأن النبي مرسل من عند الله تبارك وتعالى وأنه صادق فيما أخبر فيفعل ما أمر ويجتنب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

[25] - أي أن النطق بهذه الأشياء على اختلافها في الحكم من الوجوب أو الاستحباب كل ذلك من الإيمان كقراءة القرآن وذكر الله بإطلاق على وجه مشروع من الإيمان .

[26] - المراد عند أهل السنة والجماعة باعتقاد القلب أو عمل القلب ؛ تصديقه وخوفه وخشيته ورجاؤه وتوكله ورغبته ورهبته ، فإذا نطق بالشهادتين ولم يعتقد بقلبه كان منافقاً النفاق الاعتقادي .

[27] - **لقد خالف السلف في باب الإيمان أربع طوائف :**

١ - **الجهمية** : ويزعمون أن الإيمان هو المعرفة .

٢ - **الكرامية** : ويزعمون أن الإيمان هو النطق باللسان فقط .

٣ - **الأشاعرة** : ويزعمون أن الإيمان هو التصديق فقط .

٤ - **مرجئة الفقهاء** : ويزعمون أن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان فقط ولا يدخلون أعمال الجوارح في الإيمان .

وقد ظهر في أيامنا هذه من ينسب مذهب المرجئة لأئمة السلف والسلف منه براء فيزعم أن من ترك جميع الأعمال مع إمكان القدرة عليها فهو ناج من عذاب الله تعالى طالما أنه نطق بشهادة أن لا إله إلا الله ! وإذ قيل لهؤلاء إن هذا مذهب المرجئة ؛ قال أنا أقول الإيمان قول وعمل والمرجئة لا تقول ذلك وقد قال عبد الله بن المبارك – رحمه الله – من قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد برئ من الإرجاء أوله وآخره . والجواب نعم كلام ابن المبارك صحيح لكن لابد أن يفهم

ينبغي أن يبدأ الإنسان في تحقيق الإيمان الذي هو كلمة جامعة يشمل الإيمان بكل ما أوحاه الله إلى محمد - صلى الله عليه وسلم – من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وفي حديث جبريل المشهور[٢٨] أن جبريل وهو يسأل النبي – صلى الله عليه وسلم – أخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله "[٢٩] .

على وجهه الصحيح كما أراد ، فإن الرجل إذا (قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) لكنه لا يقول بكفر تارك أعمال الجوارح بالكلية أو ما عبر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية بتارك جنس العمل فإنه يكون قد نقض قوله السابق من حيث لا يدري والأمر يحتاج من صاحب هذا الفكر إلى تأمل حتى يفهم أنه نقض قوله وخالف ما عليه السلف وهو لا يدري ، ولذلك قال فضيلة الشيخ الفوزان في بعض المرات بعد أن ذكر هذه الطوائف (وهناك فرقة خامسة ظهرت الآن وهم الذين يقولون : إن الأعمال شرط في كمال الإيمان الواجب أو الكمال المستحب)اهـ فليتأمل طالب الحق في كلام العلماء ويترك التعصب الذميم ويعلم أن هذه المعتقدات حذر منها العلماء الثقات الأثبات فلا ينبغي أن تزل قدمه ويقلد من أخطأ في المسألة فالحق أحق أن يتبع وليكن لسان حاله فلان حبيب لنا ولكن الحق أحب إلينا منه .

[28] - هذا الحديث يعرف عند أهل العلم بثلاثة مسميات :

- حديث جبريل .
- حديث الإسلام والإيمان .
- مراتب الدين .

[29] - حديث جبريل – عليه السلام – الذي يعرف بحديث (الإسلام والإيمان) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – انظر : البخاري (٥٠) ومسلم (٩) ، ورواه مسلم بأتم من ذلك من حديث عمر – رضي الله عنه – (٨) وهذا نصه :" بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – :« الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ.

هذه الأركان الستة هي العقيدة التي دلّت عليها نصوص الكتاب والسنة :

الإيمان بالله[٣٠] : يتناول الإيمان بالله :

الإيمان بوجود الله عز وجل[٣١] : بأنه الحي القيوم ، الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء[٣٢] .

والإيمان بربوبيته : أي أن الله عز وجل هو ربُّ كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه ومدبر الأمور لعالم السماوات وعالم الأرض ، والمتصرف في ذلك في أمر الدنيا والبرزخ

قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ : صَدَقْتَ. قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ :« أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ :« مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ : « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ » . قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي : « يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ » قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » .

30 - أي أول هذه الأركان الستة ؛ الإيمان بالله .

31 - يجب على كل مسلم أن يؤمن بوجود الله فإنه لا يعبد غائباً فإن الله مطلع عليه يسمعه ويراه لا تخفى عليه خافية ؛ قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) وقال أيضاً (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) .

32 - جاء هذا المعنى في الحديث الصحيح :" اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء " رواه مسلم (٢٧١٣) .

والآخرة ، وهو سبحانه السيد الكامل في سؤدده ، في كل شيء عظيم ، وعلى كل شيء قدير[٣٣] .

والإيمان بالوهيته : والإيمان بألوهية الله عز وجل يعني إفراده بكل عبادة مالية أو بدنية وحده دون سواه ، والعبادات أنواع متعددة يجمعها قول الإمام ابن تيمية – رحمه الله – : العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة[٣٤] .

وهو تعريف شامل يندرج تحته جميع العبادات التي أمر الله عز وجل بها المكلفين عالم الإنس والجن كما قال سبحانه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣٥] .

إذاً : الإيمان بألوهية الله يعني إفراده بالعبادة مالية أو بدنية ، ومن ذلك الخوف من الله[٣٦] والخشية[٣٧] والإنابة[٣٨] والرغبة والرهبة[٣٩] والتوكل[٤٠] والخشوع[٤١]

---

33 - الأدلة على هذا النوع كثيرة جداً منها قوله تعالى قول الله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ومنها قوله تعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) ومنها قوله تعالى (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وغير ذلك .

34 - قال شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله – في مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩) : (العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ؛ فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله)اهـ

35 - (سورة الذاريات آية : ٥٦) .

36 - وذلك لقوله تعالى ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران آية : ١٧٥) .

37 - وذلك لقوله تعالى ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾ (سورة المائدة آية : ٣) .

والذبح[٤٢] والنذر[٤٣] إلى غير ذلك من أنواع العبادات ؛ من صرف شيئاً لغير الله عز وجل فقد أشرك بالله تبارك وتعالى[٤٤] ، ومن أشرك بالله فإنه حرم له لأعظم الخبر كما قال الله عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[٤٥].

فما يفعله بعض الناس في هذا الزمن من النذور لمن يسمونهم أولياء أصحاب الأضرحة وغلاة الصوفية يقدمون لهم النذور ويستغيثون بهم ويجعلونهم وسائط بينهم وبين الله ، هذا من منكر القول وسيء العمل الذي يفضي بصاحبه إلى النار وبئس القرار إذا مات على ذلك[٤٦] .

---

38 - وذلك لقوله تعالى ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾ (سورة الزمر آية : ٥٤) .

39 - وذلك لقوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (سورة الأنبياء آية : ٩٠) .

40 - وذلك لقوله تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة المائدة آية : ٢٣) .

41 - وذلك لقوله تعالى ﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (سورة الأنبياء آية : ٩٠) .

42 - وذلك لقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة الأنعام آية : ١٦٢ - ١٦٣) ولما ورد في صحيح مسلم (١٩٧٨) عن علي – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" لعن الله من ذبح لغير الله " .

43 - وذلك لقوله تعالى ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ (سورة الإنسان آية : ٧) .

44 - وذلك لقول النبي – صلى الله عليه وسلم - :" أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركت وشركه " رواه مسلم (٢٩٨٥) .

45 - (سورة النساء آية : ٤٨) .

46 - لأن هذه الأمور عبادة ولا تطلب إلا من الله وصرفها لغير الله شرك أكبر ، وقد جاء الإسلام في التحذير من هذه الأمور وأن اتخاذ هؤلاء وسائط عمل أهل الجاهلية الذين قالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ فلينتبه لهذا الأمر فإنه من الخطورة بمكان ولا ينبغي لأحد أن

فالواجب الحذر من هذه الأعمال السيئة التي روجها من قَلَّ خيره وقَلَّ نصيبه من العلم روجوها لمن هو قليل العلم حتى وقع فيها بحجة الاستشفاع والتوسل ، فهي ليست استشفاعاً صحيحاً وليست توسلاً مشروعاً ، وإنما هي عبادة لغير الله ، من وقف ونادى صاحب الضريح ليبرئه من سقمه أو يكشف ما به من هم وغم أو يشفي مريضه يسأل الله أن يشفي مريضه كل ذلك من الشرك الأكبر[٤٧] الذي يجب أن يعرفه المسلم ليبتعد عنه ويحذر الناس بقدر ما يستطيع[٤٨] .

إذاً ؛ توحيد الله في ألوهيته ؛ إفراده بجميع أنواع العبادة وحده دون سواه .

ومن الإيمان بالله الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلا : أن تؤمن بذات الله وأن له الأسماء الحسنى التي جاء ذكرها في القرآن جملة وتفصيلاً ، قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٤٩] والإلحاد في أسماء الله بجحد معانيها ، بتعطيلها عن معانيها ،

يهون من هذه الأمور ومن الحكم على من غرق فيها فالغيرة على الدين أعز علينا من الغيرة والعاطفة على هؤلاء .

47 - نعم صحيح ، ولا عذر له لأنه صرف العبادة لغير الله تعالى وتوسل بغيره فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ وذلك شرك أكبر كما هو متقرر ، والحذر الحذر ممن يقولون بعذر هؤلاء بجهلهم فإنه قول سقيم يفتح الباب على مصراعيه أمام هؤلاء للمكث على هذا الشرك وعدم الفرار والتخلص منه .

48 - حري بكل مسلم أن يتعلم صور التوسل المشروع ويعلم أن ما عداها فهو من التوسل الممنوع وهو من الشرك الأكبر ، **وقد ذكر أهل العلم ثلاث صور للتوسل المشروع :**

الأول : التوسل باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاه .

الثاني : التوسل بدعاء رجل صالح حي حاضر غير غائب .

الثالث : التوسل بالعمل الصالح الذي يقوم به العبد .

ومن رام التفصيل في معرفة ذلك فليرجع إلى كتب العقيدة وليطالع رسالة الشيخ الألباني التي بعنوان (التوسل أنواعه وأحكامه) فإنها جيدة ومفيدة .

49 - (سورة الأعراف آية : ١٨٠) .

وتأويلها تأويلاً فاسداً خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة الذين يؤمنون بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا على الوجه اللائق بعظمته وجلاله ، لا تشبيه ولا (.....)[٥٠] ولا تحريف ولا تأويل ؛ بل كما علمهم الله عز شأنه بقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٥١] .

فهذه الحقيقة حقيقة الإيمان بالله تبارك وتعالى وهو أول ركن من أركان الإيمان الستة[٥٢] التي لا يعذر أحد بجهلها بالإضافة إلى أركان الإسلام الخمسة التي هي : الشهادتان ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج[٥٣] .

وهكذا المرتبة الثالثة مرتبة الإحسان : ومن باب التتبع والاستقراء أن الإسلام مراتبه ثلاثة :

المرتبة الأولى : الكلام على هذا[٥٤] وله خمسة أركان .

والمرتبة الثانية : الإيمان وله ستة أركان .

---

50 - كلمة غير مفهومة .

51 - (سورة الشورى آية : ١١) .

52 - وهي :

١ - الإيمان بالله .

٢ - الإيمان بالملائكة .

٣ - الإيمان بالرسل .

٤ - الإيمان بالكتب السماوية .

٥ - الإيمان باليوم الآخر .

٦ - الإيمان بالقدر خيره وشره .

53 - جاء ذكر أركان الإسلام الخمسة في حديث جبريل عليه السلام ، وقد سبق ذكره آنفاً ، وقد جاء مفرداً أيضاً في الصحيحين من حديث ابن عمر – رضي الله عنه – رواه البخاري (٨) ومسلم (١٦) .

54 - أي الكلام على الإسلام .

والمرتبة الثالثة : الإحسان ، وله ركن واحد عرَّفه النبي - صلى الله عليه وسلم – بقوله :" أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

ونقتصر على هذا القدر وبحول الله تعالى لنا لقاءات قادمة إن شاء الله تعالى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

õ õ õ

ملحق الأسئلة

السؤال الأول :

بارك الله فيكم وأحسن إليكم السؤال يقول : ظهر صنف من الناس جديد لا هو بالحزبي الخالص ولا هو بالسلفي الخالص ، بل بين بين متلون ومراوغ يلعب على الحبلين ؛ فهل من يظهر ألاعيبه ويكشف أساليبه يكون حدادياً[٥٥] أم ماذا ؟

الجواب :

الحق واضح[٥٦] ، فهؤلاء لابد أن يعرف اتجاههم ، لابد أن يعرف اتجاههم من أقوالهم وأفعالهم ، فإذا كانت موافقة لما عليه أهل السنة والجماعة والسلف الصالح السابقين واللاحقين فالحمد لله هم من منهم ، وإن خرجوا عن منهج أهل السنة والجماعة في

---

55 - لقد ابتلينا الآن في أيامنا هذه بفئة ظالمة من الناس ترمي دعاة الحق السائرين على منهج السلف الصالح أنهم حدادية ! ويوجهون لهم التهم والطعونات بأنهم تكفيريون وخوارج بسبب ردودهم على أهل البدع والأهواء وقولهم بكفر تارك أعمال الجوارح بالكلية التي يذكرها جملة من العلماء بمصطلح (جنس العمل) ! والرد على أهل البدع جهاد كما بين الأئمة ، والقول بكفر تارك أعمال الجوارح بالكلية هو ما أجمع عليه السلف ، ومن قال غير ذلك فقد دخلت عليه شبه المرجئة . فنأسف كثيراً من غربة الحق في هذا الزمان فإنا لله وإنا إليه راجعون .

56 - أي أن ما عليه السلف الصالح – رحمهم الله – واضح وجلي ، فمهما حاول البعض المراوغة فإنه لا يستطيع ذلك البتة ، وقد قال بعض الشعراء :

والحق أبلج لا تزيغ سبيله والحق يعرفه ذوو الألباب

العقيدة والشريعة فليسوا من أهل السنة والجماعة ، وما بقي إلا طرق أهـــل البـــدع والضلال[٥٧] .

ولا تستطيع ؛ لا تستطيع أن تحكم على الشخص إلا من أقواله وأفعاله[٥٨] ، وأما إذا كتم الأقوال والأفعال أو أظهر شيئاً وأخفى شيئاً آخر فهذا هو النفاق بعينه والعيـــاذ بالله .

السؤال الثاني: بارك الله فيكم وأحسن إليكم شيخنا السؤال : العبرة في الحكـــم على الشخص بالأقوال أم الأفعال بمعنى أننا نرى شخصاً يقرر منهج السلف مـــثلاً في هجر الأهواء والبدع أو في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله ثم إذا به يجـــالس المبتدعـــة ويثني عليهم ويهيج العامة من فوق المنابر[٥٩] ؟

الجواب :

الحقيقة العبرة بالكل بالأقوال والأفعال[٦٠] ولكن الأقوال ظاهرة يـــسمعها الخـــاص والعام، الذي يقرر منهج السلف يقرره جهرة ، والذي يقرر منـــهج أهـــل البـــدع

---

57 - نعم صحيح لأن الرجل إما سلفي أو غير سلفي فإن كان سلفياً فهنيئاً له فهو على منـــهج النبي – صلى الله عليه وسلم – وإن لم يكن سلفياً فهو على طريق أهل الزيغ والضلال ويلحـــق بالفرقة التي تناسب بدعته .

58 - وذلك لأن الحكم يكون على الظاهر ، وظاهر الرجل أقواله وأفعاله ؛ لذا اعتبر شيخنا زيد – حفظه الله – كتم الأقوال والأفعال أو إظهار شيء وكتم آخر هو النفاق بعينه ، ولا شك أنه لا يستطيع أحد أن يخفي أقواله وأفعاله كل الوقت ، صحيح قد يستطيع إخفاء ذلك بعض الوقت وأما كل الوقت فهذا بعيد والله أعلم .

59 - أي على الحكام فيكون بذلك مخالفاً لتقرير عقيدة السلف .

60 - نعم صحيح العبرة بالأقوال والأفعال ، وقد ذم الله تبارك وتعالى من يقول قولاً ويأتي خلافه كما في قوله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْـــدَ اللَّـــهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ولو كان هذا الداعي صادقاً حقاً في قوله لصدق في فعله أيضاً أما أن يقول شيئاً ويفعل خلاف ما عليه أئمة السلف فهذا هو النفاق والعياذ بالله ، وقد صدق القائل :

والضلال كذلك يقرره جهرة ، ومنهم من يخفيه للأقوام من أتباعه مخصوصين فلا يجهر به ، وهذا يختلف باختلاف الأماكن واختلاف البلدان .

وإن أخفى أصحاب البدع لا تخفى على الناس بدعهم ، لأن من أخفى بدعته ظهرت في مصاحبته للناس[٦١] من يصاحب ومن يجالس وعمن يأخذ العلم ومن يذاكر فلا يبقى الأمر خافياً يظهر الأمر .

السؤال الثالث : بارك الله فيكم وأحسن الله إليكم شيخنا : بعض الدعاة لهم أقوال مخالفة لمنهج السلف الصالح فإذا ما قيل لهم أنتم أخطأتم وقلتم كذا وكذا قالوا نحن قمنا برفع المادة التي فيها الخطأ من الموقع ولا يتراجع عن قوله هذا ويكتفي فقط برفع الشريط ؟

الجواب :

نعم قد يخطئ الداعية ، يخطئ في بعض المسائل الدقيقة فإذا تكرم عليه طالب علم ونبهه على خطئه ؛ وجب عليه أن يتوب ظاهراً ويعلن في الأماكن التي أخطأ فيها ويتنازل عن خطئه[٦٢] .

إثبات ضدين معاً في حال أقبح ما يكون من المحال

61 - قال الإمام الأوزاعي : من أخفى علينا سريرته لم تخف علينا ألفته . وقد صح مثل ذلك عن ابن المبارك رحمه الله .

62 - فكما أن الخطأ كان علناً فالتوبة منه تكون علناً فالجزاء من جنس العمل حتى لا يغتر أحد بخطئه ، وهناك قصة للإمام عبد الله بن المبارك ذكرها ابن بطة في الإبانة الصغرى قال : (وقال الحسن بن شقيق : كنا عند ابن المبارك إذ جاءه رجل فقال له أنت ذاك الجهمي؟ قال نعم. قال إذا خرجت من عندي فلا تعد إلي. قال الرجل: فأنا تائب، قال: لا، حتى يظهر من توبتك مثل الذي ظهر من بدعتك)اهـ

ولا شك أن حذف الخطأ دون التنبيه عليه بعدما ذاع وانتشر خيانة وغش لكثير من المسلمين الذين قرأوا كلامه وظنوه حقاً ، لذا فالذي تبرأ به الذمة أن يعلن تراجعه عن خطئه بنفس الطريقة التي نشر بها خطأه .

أما الذين يخطئون في الشركيات في العقيدة فهؤلاء جهال لا يصلحون أن يكونوا دعاة إلى الله ، الذين يخطئون في الاعتقاد ؛ في ألوهية الله عز وجل وربوبيته وأسمائه وصفاته لا يصلحون للدعوة إلى الله[٦٣] .

السؤال الرابع : بارك الله فيكم وأحسن الله إليكم شيخنا : هل الضابط يا شيخنا في هجر المبتدع المصلحة أم ماذا ؟

الجواب :

أولاً ؛ يتفاهم مع المبتدع طالب العلم المتمكن من منهج أهل السنة والجماعة ويرشده إلى العدول عن بدعته التي تحارب السنة ، فإن استفاد منه وانتفع فذاك هو المطلوب ، وإن أصر على بدعته ونشرها فإنه يهجر لا يسلم عليه ولا يجالس[٦٤] ويحذر منه

---

63 - نعم صحيح لأن من المتقرر عند ذوي العقول السليمة أن فاقد الشيء لا يعطيه ، وإذا كان حال هؤلاء كذلك فأنى لهم أن يصلحوا غيرهم وقودوه إلى الحق والصراط المستقيم ! فهم أحوج ما يكون لمن يدعوهم ويبين لهم الحق بدليله .

64 - هجر أهل البدع والمعاصي من منهج السلف الصالح وقد حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على ذلك ، وليس كما يزعم من قل علمه وعميت بصيرته أنه شدة مرفوضة وما شابه ذلك فهذا قول باطل لأنهم يريدون بذلك عدم إنكار أحد على أحد وأن لكل وجهة وحرية في التعبير عما يريد ! وهذا بلا شك أنه من أبطل الباطل إذ حرية التعبير لابد أن تنضبط بضوابط الشرع فمن تكلم بما يخالف الشرع فلابد من الإنكار عليه وزجره فإن أصر فيحذر منه الناس ويهجر ، والقول الذي له وجهة هو الذي يكون فيما هو سائغ كالاختلاف في المسائل الفرعية العملية وأما الاختلاف في المسائل العقدية الأصولية فلا يقبل البتة قول من خالف ولا كرامة له لذا قال بعض العلماء :

ليس كل خلاف جاء معتبرا إلا خلاف له حظ من النظر

الجمهور من الناس حتى لا يضلهم ويدخلهم في بدعته[٦٥] التي قال فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – :" كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار "[٦٦] .

õ õ õ

65 - نعم صحيح ؛ يحذر منه نصحاً له ولغيره من المسلمين ، أما النصيحة له فبأن يكف عن بدعته وما عليه من باطل . وأما النصح لغيره فذلك بأن لا يتابعه أحد على باطله فيأثم فيحمل وزر من تبعه فتزداد سيئاته عياذاً بالله ، فأهل السنة رحماء بالناس بل هم أرحم الخلق على الخلق . وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٣١ - ٢٣٢) : (وإذا كان النصح واجباً في المصالح الدينية الخاصة والعامة مثل نقلة الحديث الذين يغلطون أو يكذبون كما قال يحيى بن سعيد سألت مالكاً والثوري والليث بن سعد أظنه والأوزاعي عن الرجل يتهم في الحديث أو لا يحفظ فقالوا : بين أمره ، وقال بعضهم لأحمد ابن حنبل إنه يثقل على أن أقول فلان كذا وفلان كذا فقال : إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم .
ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فان بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل الرجل يصوم ويصلى ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع فقال إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء)اهـ

66 - صحيح : وهو جزء من حديث خطبة الحاجة التي كان يفتتح بها النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – خطبه ، وقد جمع طرقها الشيخ الألباني في رسالة له بعنوان (خطبة الحاجة) فلتراجع .

فقه الدعوة ونعوت الداعية

لفضيلة الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالى

وهو درس ألقاه الشيخ في افتتاحية الدورة القرعاوية السابعة عشر لعام ١٤٣٢هـ

تحقيق وتعليق

أبي عبد الله

وائل بن علي بن أحمد الأثري

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فبين يدي القارئ الكريم رسالة بعنوان (فقه الدعوة ونعوت الداعية) لشيخنا العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي – حفظه الله – ، وأصل هذه الرسالة درس ألقاه شيخنا الحبيب في افتتاحية الدورة القرعاوية السابعة عشر لعام ١٤٣٢هـ يوم الجمعة الموافق : ٢٢ / رجب / ١٤٣٢هـ فقمت بتفريغها والعمل على تحقيقها والتعليق عليها فصارت بالصورة التي بين يدي القارئ .

ومما ينبغي التنبيه عليه أنني ما كدت أن أنتهي من التعليق والتحقيق إلا وقد فجعت برسالة قديمة وجدتها لشيخنا حفظه الله ضمن كتابه مجموعة رسائل الجزء الأول بعنوان (فقه الدعوة إلى الله ونعوت الداعية)[٦٧] فخشيت أن يكون عملي قد ذهب هباء ، فلما طالعتها حمدت ربي جل وعلا فقد رأيت اختلافاً بينهما وإن تسموا بنفس العنوان فلم يضع المجهود ؛ بل لمست أن درس شيخنا الحالي كالمتمم لدرسه الماضي ، فقلت إن هذا من فقه شيخنا كرر العنوان ولم يكرر المحتوى ، لذا فإنني أقترح أن تنشر الرسالتان سوياً حتى يستفيد القارئ فائدة قيمة منهما إذ لا شك أن الدعوة إلى الله تعالى أمرها عظيم وهي من أشرف الأعمال والقربات ، لأنها عمل الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – فحري بالداعي إلى الله أن يكون على بصيرة من أمر دينه كما قال الله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٦٨] .

---

67 - وأصلها أيضاً كان درساً ألقاه شيخنا بتأريخ ١٤١٥/١١/٦هـ في مدينة جازان .

68 - (سورة يوسف آية : ١٠٨) .

فعلى الداعية البصير أن يتحلى بالعلم الشرعي والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن فالرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نزع الرفق من شيء إلا شانه .

وسيجد الداعية في هذه الرسالة أموراً من الأهمية بمكان في مجال الدعوة فليعض عليها بالنواجذ ؛ ولا أدعي الكمال لبحثي وشيخي إذ الكمال لله وحده لذا فمن وقف على خطأ فليوقفني عليه وأنا أتقلد له الثناء والشكر والدعاء .

والحمد لله على توفيقه أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً ، هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

الجمعة : ٢٩ / رجب / ١٤٣٢هـ

فقه الدعوة ونعوت الداعية

بسم الله الرحمن الرحيم[٦٩]

الحمد لله رب العالمين[٧٠] اللهم صلِّ[٧١] وسلِّم وبارك على نبينا محمد[٧٢] وعلى آله[٧٣] وصحبه[٧٤] أجمعين ،،، أما بعد[٧٥] :

---

69 - لم يفتتح الشيخ كلمته بالبسملة وإنما كتبتها تبركاً واقتداء بكتاب الله القرآن الكريم ورسائل النبي الأمين ؛ مع التنبيه أنه لا يصح في فضل البداءة بها أي حديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – .

70 - افتتح شيخنا – حفظه الله – الدرس بـ(الحمد لله رب العالمين) ولم يفتتحه بخطبة الحاجة إما للاختصار أو لبيان الجواز .

والمراد بـ(الحمد لله رب العالمين) الثناء على الله تعالى بما هو أهله ، فجدير بعباده أن يثنوا عليه بما أثنى به على نفسه وأثني به عليه رسوله – صلى الله عليه وسلم – .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره (١/ ١٢٨) طبعة دار طيبة : (قال أبو جعفر بن جرير : معنى ﴿الحمد لله﴾ الشكر لله خالصًا دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذَّاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرًا.

وقال ابن جرير : ﴿ الحمد لله ﴾ ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا: ﴿ الحمد لله ﴾ .

قال: وقد قيل: إن قول القائل: الحمد لله، "ثناء عليه بأسمائه وصفاته الحسنى ، وقوله: الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه، ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر.

وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية. وقال ابن عباس : ﴿ الحمد لله ﴾ كلمة كل شاكر ، وقد استدل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل : ﴿ الحمد لله ﴾ شكرًا . وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا : أيهما أعم ، الحمد أو الشكر؟ على قولين ، والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حَمدته لفروسيته وحمدته لكرمه. وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه ، لأنه يكون بالقول والعمل والنية، كما تقدم، وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته، وتقول: شكرته على كرمه وإحسانه إليّ. هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين، والله أعلم.)اهـ

[71] - صلاة الله على نبيه معناها ثناؤه عليه في الملأ الأعلى ، وهذا ما ذهب إليه أبو العالية من التابعين وتابعه عليه جمهور أهل العلم ، وقد أخطأ من فسر صلاة الله بأن معناها الرحمة ؛ فإن الله تبارك وتعالى قال ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ فعطف الله الرحمة على الصلاة والعطف يقتضي المغايرة ، فدل هذا على أن الرحمة غير الصلاة ، وأن المراد بالصلاة الثناء .

[72] - وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ؛ من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، بعثه الله إلى الثقلين بشيراً ونذيراً ؛ وهو على رأس أربعين سنة ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ، فمكث ثلاثاً وعشرين سنة نبياً رسولاً يدعوا إلى الله تبارك وتعالى .

[73] - آل الرجل : هم أهل بيته وقرابته وذريته ممن ينتمون إلى الشخص بنسب ونحوه ، والمراد بآل النبي – صلى الله عليه وسلم – كل من يتمسك بما كان عليه ويدعوا إليه .

[74] - جمع صحابي ؛ والصحابي هو : من لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – مؤمناً به ، ومات على الإسلام وإن تخلل ذلك ردة . والصحابة كلهم عدول ، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه الكريم في كثير من الآيات منها قوله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ وقوله ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ وقوله ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وقوله ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ وغير ذلك . وكذلك قد أثنى عليهم النبي – صلى الله عليه وسلم – في كثير من الأحاديث ؛ ومنها قوله في الحديث المتفق عليه :" خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "رواه البخاري برقم (٣٤٥١) ، ومسلم (٢٥٣٣) . وقوله أيضاً في الحديث المتفق عليه :« لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ » رواه البخاري برقم (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) .

وأفضل الصحابة – رضي الله عنهم – قاطبة على الإطلاق ؛ أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، فترتيبهم في الأفضلية كترتيبهم الزمني في الخلافة بإجماع المسلمين . ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، ثم من شهد بدراً ، ثم المهاجرين ، ثم الأنصار ، وهكذا . ونشهد بالجنة لمن ثبت له ذلك بالدليل كالعشرة والحسن والحسين وعكاشة بن محصن وغيرهم .

ومن عقيدة السلف الترحم عليهم والاستغفار لهم والترضي عليهم والإمساك عما شجر بينهم ، ومن طعن فيهم أو تنقصهم فهو زنديق كما قال الإمام الكبير أبو زرعة الرازي : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ؛ والجرح بهم أولى وهم زنادقة)اهـ [الكفاية للخطيب البغدادي : ص٤٩]

[75] - أما بعد : كلمة يجاء بها للانتقال من كلام إلى كلام جديد .

فأحمد الله تبارك وتعالى على هذا الملتقى[٧٦] ؛ على درب الخير مذاكرة العلم الشرعي[٧٧] من أجل الحرص على تحصيله ونشره ، وعندما يكون الحديث إلى نخبة من الدعاة إلى الله عز وجل يكون له أهميته وفائدته[٧٨] ؛ الشيء الذي لا يخفى عليكم ، والموضوعات التي يتحدث فيها طلاب العلم والدعاة أينما توجهوا سواء في خطبهم أو في مواعظهم أو محاضراتهم[٧٩] وندواتهم موضوعات علمية شرعية[٨٠] ، تهدف إلى صلاح وإصلاح الفرد والمجتمع فيما يتعلق بشئون دينهم بالدرجة الأولى ، وفيما يتعلق بشئون دنياهم لارتباط أمور الدين بالدنيا ، وأمور الدنيا المباحة المشروعة إذا حسنت

---

76 - وهو الاجتماع لافتتاحية الدورة القرعاوية السابعة عشر ؛ والذي كان في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رجب لعام ألف وأربعمائة واثنين وثلاثين من هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

77 - المذاكرة معناها مدارسة العلم وذلك عن طريق الدروس والمجالس العلمية وقد كان السلف يتدارسون العلم فيما بينهم ليل نهار ، فحري بطلبة العلم أن يحرصوا على مذاكرة العلم الشرعي ليحرزوا النصيب الأوفر والأجر العظيم من الله تبارك وتعالى .

78 - وذلك لأن كل واحد من هؤلاء الدعاة له منبره ومسجده الذي يدعو الناس من خلاله ، ولأنه إذا انتفع بالعلم كان ذلك سبباً في نفع الآخرين .

79 - ذهب بعض أهل العلم إلى كراهية تسمية الدرس ((محاضرة)) لأنها عرفت عن الغرب ، وذهب آخرون إلى جواز ذلك على اعتبار أنها كلمة استعربت . ولعل شيخنا – حفظه الله – قالها انطلاقاً من ذلك والله أعلم .

80 - ذكر أهل العلم عدة أسباب لنجاح موضوع الداعية ومنها :

أولاً : تحديد الموضوع الذي يريد التكلم عنه .

ثانياً : جمع الأدلة في الموضوع وتحرير الأحاديث من حيث الصحة والضعف .

ثالثاً : فهم الأدلة الشرعية – قرآناً وسنة – على وفق ما فهمه أئمة السلف .

رابعاً : ترتيب الموضوع بحيث يكون ما تضمنه متصلاً ليس هناك انقطاع بين فقراته .

خامساً : الإلقاء الجيد للموضوع . ولعل الوسائل الحديثة كمكبرات الصوت مما يساعد على الإلقاء الجيد .

النية فهي من أمور الدين وفيها الأجر[٨١] ، وكان النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – يحرص على الإرشاد لإصلاح أمر الدين بالدرجة الأولى وكذلك أمر الدنيا[٨٢] ، ودليل ذلك أنه لما رأى رجلاً قوياً ذا حاجة أمره أن يذهب فيحتطب فيبيع فيكف نفسه عن السؤال ويكفي أهله مؤنة العيش[٨٣] .

---

81 - جاء في الحديث المتفق عليه عند البخاري (٦٩٢٣) ومسلم (١٨٢٤) عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أنه قال : " أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَأَنَامُ ، وَأَرْجُو فِي نَوْمَتِي مَا أَرْجُو فِي قَوْمَتِي " . وفي صحيح البخاري أيضاً (٤٣٤١ ، ٤٣٤٢) بلفظ : " أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنْ النَّوْمِ فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي " . قال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٢) طبعة دار الفكر : (ومعناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب، لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب)اهـ

82 - ورد في صحيح مسلم (١٨٤٤) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم " ، وصح عنه أيضاً أنه قال : والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة إلا نهيتكم عنه " صححه الألباني في الكتب التالية : الصحيحة (١٨٠٣) ، وتحريم آلات الطرب (ص : ١٧٦) وحجة النبي (ص : ١٠٣) .

83 - لعل شيخنا – حفظه الله – يشير إلى ما رواه أبو داود في سننه (١٦٤١) وغيره ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَسْأَلُهُ فَقَالَ « أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ». قَالَ : بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ. قَالَ : « ائْتِنِي بِهِمَا ». فَأَتَاهُ بِهِمَا ، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ وَقَالَ : « مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ ». قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ. قَالَ « مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا ، قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ وَقَالَ « اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ ». فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عُودًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ « اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ». فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ ».

فالدعاة إلى الله أسوتهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في دعوة الخلق إلى صلاح دينهم وصلاح دنياهم التي لابد لهم منها[٨٤] .

لكن هذه القصة ضعفها الشيخ الألباني – رحمه الله – في تحقيقه على أبي داود في الموضع المذكور آنفاً ، كذلك ضعفها في تحقيقه على الترمذي (١٢١٨) و في تحقيقه على النسائي (٤٥٠٨) وفي تحقيقه على ابن ماجه (٢١٩٨) وفي الإرواء (١٢٨٩) وفي المشكاة (٢٨٧٣) وفي ضعيف الترغيب والترهيب (٥٠١) .

لكن قد جاء نحو هذا المعنى في الصحيحين من غير ذكر مجيء الرجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد روى البخاري (١٤٧٠) ومسلم (١٠٤٢) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ " . قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣ / ٣٣٥) : (وفيه الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك ، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ومن ذل الرد إذا لم يعط ولما يدخل على المسؤول من الضيق في ماله إن أعطى كل سائل)اهـ

[84] - لقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[سورة الأحزاب آية : ٢١] قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٩١) : (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي – صلى الله عليه وسلم – يوم الأحزاب ، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين)اهـ وهذه الآية وإن كانت نزلت في غزوة الأحزاب إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قرره أهل العلم .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره : (واستدل الأصوليون في هذه الآية ، على الاحتجاج بأفعال الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام ، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به . فالأسوة نوعان : أسوة حسنة ، وأسوة سيئة . فالأسوة الحسنة ، في الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – فإن المتأسِّي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة اللّه ، وهو الصراط المستقيم . وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي بهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾

ومن جملة الموضوعات التي تهمنا جميعاً وتدعوا الحاجة إلى المذاكرة في شأنها ؛ الدعوة إلى الله تبارك وتعالى التي هي وظيفة الرسل والأنبياء[٨٥] ووظيفة المصلحين من أتباعهم[٨٦] دعوة الخلق إلى التفقه في دين الله تبارك وتعالى ، دعوة كل مكلف من ذكر وأنثى[٨٧]

وهذه الأسوة الحسنة ، إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو اللّه واليوم الآخر ، فإن ما معه من الإيمان وخوف اللّه ورجاء ثوابه وخوف عقابه ؛ يحثه على التأسي بالرسول – صلى اللّه عليه وسلم – .)اهـ

85 - وهذا يدل على شرفها وعلو منزلتها ، وأما ما يتعلق بالرسول والنبي فقد اختلف أهل العلم في الفرق بين الرسول والنبي إلى ثلاثة أقوال :

أولاً : الرسول : رجل حر من بني آدم أوحى الله إليه برسالة جديدة وأمره بالتبليغ ، والنبي : رجل حر من بني آدم أوحى الله إليه للدعوة إلى شرع سابق .

ثانياً : الرسول : رجل حر من بني آدم أوحى الله إليه برسالة جديدة وأمره بالتبليغ ، والنبي : رجل حر من بني آدم أوحى الله إليه ولم يأمره بالتبليغ .

ثالثاً : قيل لا فرق بينهما .

والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول .

وأما القول الثاني : فضعيف ، لأن النبي إذا لم يؤمر بالتبليغ فمعناه أن الوحي إليه عبث لا فائدة منه .

وأما القول الثالث : فضعيف أيضاً لأن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ فعطف النبي على الرسول ؛ والعطف يقتضي المغايرة ، فدل هذا على أن النبي والرسول بينهما عموم وخصوص ، فكل رسول نبي وليس العكس .

86 - فحري بكل عاقل أن يقتدي بهم ويدعوا مثلهم إلى الله تعالى حتى يحظى بالأجر الوفير من الله العلي الكبير ، وقد قال القائل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

87 - المراد بالمكلف ها هنا : هو كل بالغ عاقل ذكراً كان أو أنثى ، والدليل على ذلك ما رواه أبو داود (٤٤٠٣) وغيره ؛ عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ،

أن يهتم بالفقه في الدين[٨٨] قبل كل شيء وما ذلك إلا للحاجة ، إذ أن الله خلقنا لعبادته[٨٩] ، والعبادة[٩٠] التكاليف الشرعية معلومة ومعروفة لها شروطها ولها أركانها ولها واجباتها كما لا يخفى ، وهذه المباحث لا يدركها الإنسان إلا بالتفقه فيها[٩١] .

وعن المجنون حتى يعقل " وصححه الألباني في الإرواء (٢٩٧) وصحيح الجامع (٣٥١٢، ٣٥١٣، ٣٥١٤) .

88 - الفقه معناه الفهم ، وليس المراد به هنا الفقه بالمعنى الاصطلاحي وهو : معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية ؛ بل المعنى أعم من ذلك ، فالمراد به : التفقه في الدين عقيدة وشريعة .

89 - قال الله تبارك وتعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ . قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره (٧/ ٤٢٥) طبعة دار طيبة : (أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي : إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرهاً ، وهذا اختيار ابن جرير .)اهـ ثم قال : (ومعنى الآية : أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم .)اهـ

وقد أخطأ من فسر العبادة بالمعرفة في قوله تعالى ﴿ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي : إلا ليعرفون ، لأن الكفار عرفوا الله تعالى ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام .

90 - العبادة لغة : الذل والخضوع . واصطلاحاً : قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

<u>والعبادة حتى تكون مقبولة يجب أن يتوفر فيها شرطان :</u>

<u>الشرط الأول</u> : الإخلاص لله تعالى ، لقوله سبحانه ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ . ولقول النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث المتفق عليه :" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ... " الحديث .[البخاري (١ ، ٥٤ ، ٢٥٢٩ ، ٣٨٩٨ ، ٥٠٧٠ ، ٦٦٨٩ ، ٦٩٥٣) ومسلم (١٩٠٧)] .

<u>الشرط الثاني</u> : المتابعة ، أي : متابعة النبي – صلى الله عليه وسلم – في أداء وتطبيق هذا العمل ، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال في الحديث المتفق عليه :" من أحدث في أمرنا

والفقه في الدين لا يحصل إلا بالجلوس عند أهله والأخذ من علومهم[٩٢] ، فهو فـــرض عين[٩٣] على كل مكلف أن يحرز من هذا الدين العظيم ما هو واجب وفرض عين[٩٤]

هذا ما ليس منه فهو رد " . [البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)] أي أن من أحدث في الإسلام ما ليس منه أي لم يفعله النبي – صلى الله عليه وسلم – فأمره مردود عليه ولا يقبل منه .

91 - ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم – :" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه . قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ١٦٤) : (ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين ؛ أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حرم الخير .)اهـ

92 - هذا هو الأصل ، وفي ذلك التحذير من الأخذ من الكتب وأن ذلك يجعل الإنـــسان يـــأتي بالعجائب ، وقد قال بعض السلف :

- من كان شيخه كتابه غلب خطؤه صوابه .
- من البلية تشيخ الصحفية .
- من دخل في العلم وحده خرج من منه وحده .
- من دخل في العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم .

ولا شك أن هذا هو الغالب على من حصَّل علمه عن طريق الكتب بلا شيخ ؛ لكن قـــد يـــصح بعض الناس وينجح في تحصيل العلم بلا شيخ وهذا نادر جداً .

93 - الفرض والواجب بمعنى واحد وهو : ما أمر به الشارع المكلف على وجه الإلزام ، ويثاب فاعله امتثالاً ، ويستحق العقاب تاركه . وهو نوعان : فرض عين ؛ وفرض كفاية ، فأما فـــرض العين : فهو يشمل جميع المكلفين ، وأما فرض الكفاية : إذا فعله البعض سقط عن الباقين .

وقد ذهب علماء الأحناف إلى التفرقة بين الواجب والفرض ؛ فجعلوا الفرض أعلى رتبـــة مـــن الواجب ، ومن رام تفصيل ذلك فليراجع كتب أصول الفقه التي دونها أهل العلم .

94 - وذلك لما رواه ابن ماجه (٢٢٤) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٥) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" طلب العلم فريضة على كل مسلم " وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩١٣، ٣٩١٤) .

تنبيه : جاء في بعض الروايات لهذا الحديث زيادة (ومسلمة) وهي لفظة ضعيفة لم تثبت مـــن طريق صحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وليعلم أن اللفظ الثابت (على كل مسلم)

كأصول الدين ، وأصول العبادات ، ومعرفة الحلال والحرام فيما يتعلق بالشعائر ، فيما يتعلق بالمعاملات وفيما يتعلق بالحقوق[٩٥] ، وهذه لا تدرك إلا بالتعلم من أهل العلم الشرعي .

وأما الغفلة عن ذلك والإعراض فهو شر مستطير[٩٦] فلابد أن ننبه الناس في المساجد[٩٧] والمجامع[٩٨] بأعظم واجب عليهم وهو الفقه في دين الله ، فمن سلك هذا الطريق فقد هدي إلى صراط مستقيم[٩٩] ومن غفل عنه واشتغل بدنياه وملذاته

يشمل النوعين الذكر والأنثى لأن النساء شقائق الرجال ، فما ثبت لأحدهما يثبت للآخر إلا بدليل صحيح يخص أحدهما بالحكم دون الآخر ، والله أعلم .

95 - فيجب على كل مسلم أن يتعلم ما يصحح به عقيدته وعبادته لله تبارك وتعالى ، وأن يتعلم ما يعرف به الحلال والحرام في المعاملات من بيع وشراء ؛ وهكذا بقية الحقوق .

96 - أي : منتشر ومتفش ؛ وهذا واضح وبيِّن رأي العين .

97 - المساجد : جمع مَسْجَد ، أو جمع مَسْجِد ، بفتح الجيم وكسرها . فهو لفظ يشمل المكان المعد للصلاة ويشمل أعضاء السجود السبعة التي أمر المصلي أن يسجد عليها ، وكلاهما لا يجوز أن يصرف شيء منه في العبادة لغير الله تبارك وتعالى لقوله تعالى ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ أي فلا تعبدوا مع الله أحداً فتصرفوا شيئاً من العبادة لغيره سبحانه وتعالى ، بل الواجب أن تخلص العبادة لله وحده لا شريك له .

98 - المجامع : جمع مجمع وهو المكان الذي يجتمع الناس فيه .

99 - وفي القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ قال الإمام الطبري في تفسيره (٧/ ٦) طبعة الرسالة : (ومن يتعلق بأسباب الله ، ويتمسَّك بدينه وطاعته ﴿ فقد هدى ﴾ يقول : فقد وُفِّق لطريق واضح ، ومحجةٍ مستقيمة غير معوجَّة ، فيستقيم به إلى رضى الله ، وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته)اهـ وقال الشيخ السعدي في تفسيره (أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على كل خير ﴿ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله .)اهـ

وشهواته[١٠٠] خرج من الدنيا مفلساً من صالح العمل الذي يترتب عليه الجزاء الحسن[١٠١] .

وقد قال النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – في جملة قصيرة :" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين "[١٠٢] منطوق الحديث[١٠٣] يدل على أن أهل الخير هم الذين يهتمون

---

100 - وقد أجاد بعض الشعراء في قوله :

يا من بدنياه اشتغل	وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة	والقبر صندوق العمل

101 - ورد في صحيح مسلم (٢٥٨١) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » .

قال النووي – رحمه الله – في شرح مسلم (٨ / ٣٨٠- ٣٨١) طبعة دار الحديث : (مَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا حَقِيقَة الْمُفْلِس ، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ مَال ، وَمَنْ قَلَّ مَاله ، فَالنَّاس يُسَمُّونَهُ مُفْلِسًا ، وَلَيْسَ هُوَ حَقِيقَة الْمُفْلِس ؛ لِأَنَّ هَذَا أَمْر يَزُول ، وَيَنْقَطِع بِمَوْتِهِ ، وَرُبَّمَا يَنْقَطِع بِيَسَارٍ يَحْصُل لَهُ بَعْد ذَلِكَ فِي حَيَاته ، وَإِنَّمَا حَقِيقَة الْمُفْلِس هَذَا الْمَذْكُور فِي الْحَدِيث فَهُوَ الْهَالِك الْهَلَاك التَّامّ ، وَالْمَعْدُوم الْإِعْدَام الْمُقَطَّع ، فَتُؤْخَذ حَسَنَاته لِغُرَمَائِهِ ، فَإِذَا فَرَغَتْ حَسَنَاته أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَوُضِعَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّار فَتَمَّتْ خَسَارَته وَهَلَاكه وَإِفْلَاسه . قَالَ الْمَازِرِيُّ : وَزَعَمَ بَعْض الْمُبْتَدِعَة أَنَّ هَذَا الْحَدِيث مُعَارِض لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزِر وَازِرَة وِزْر أُخْرَى ﴾ وَهَذَا الِاعْتِرَاض غَلَط مِنْهُ وَجَهَالَة بَيِّنَة ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا عُوقِبَ بِفِعْلِهِ وَوِزْره وَظُلْمه ، فَتَوَجَّهَتْ عَلَيْهِ حُقُوق لِغُرَمَائِهِ ، فَدُفِعَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ حَسَنَاته ، فَلَمَّا فَرَغَتْ وَبَقِيَتْ بَقِيَّة قُوبِلَتْ عَلَى حَسَب مَا اِقْتَضَتْهُ حِكْمَة اللَّه تَعَالَى فِي خَلْقِهِ ، وَعَدْله فِي عِبَاده ، فَأُخِذَ قَدْرهَا مِنْ سَيِّئَات خُصُومه ، فَوُضِعَ عَلَيْهِ ، فَعُوقِبَ بِهِ فِي النَّار . فَحَقِيقَة الْعُقُوبَة إِنَّمَا هِيَ بِسَبَبِ ظُلْمه ، وَلَمْ يُعَاقَب بِغَيْرِ جِنَايَة وَظُلْم مِنْهُ ، وَهَذَا كُلّه مَذْهَب أَهْل السُّنَّة . وَاَللَّه أَعْلَم .)اهـ

102 - متفق عليه : رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) .

بالفقه في دين الله تبارك وتعالى[١٠٤] لهم ولأسرتهم ولذويهم[١٠٥] ولإخوانهم المؤمنين والمؤمنات[١٠٦] بقدر ما يستطيعون[١٠٧] حتى يحرز الإنسان ما كان فرض عين عليه

---

103 - منطوق الشيء ؛ أي لفظه ، إذ الكلام له منطوق ومفهوم ، فمنطوقه لفظه ، ومفهومه ما يستنبط منه من فقه وأحكام .

104 - أي يحرصون ويبحثون عما ينفعهم ويقربهم من ربهم سبحانه وتعالى ويكون سبباً لنيل رضوانه والبعد عن سخطه وعقابه .

105 - وذلك لقوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قال ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٤٠٤) : (يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة، وحذّرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم.)اهـ

فأهل الخير والصلاح حريصون كل الحرص على تفقيه أنفسهم وتفقيه أهاليهم ممن هم مسئولون عنه بالدرجة الأولى حتى ينجو الجميع من عذاب الله تبارك وتعالى ، وقد جاء في الحديث المتفق عليه عند البخاري (٢٥٥٤) ومسلم (١٨٢٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :« كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِه وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِه وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِه وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه » .

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ قال ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٤٩١) : (يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ يقول : علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار ، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله ، واعملوا بطاعة الله.وقوله : ﴿ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ يقول : وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به . أنفسهم من النار.)اهـ وروى الحاكم في المستدرك (٣٨٢٦) عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال في قوله تعالى ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ علموا أنفسكم وأهليكم الخير) . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ؛ ووافقه الذهبي .

106 - وذلك لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث المتفق عليه :" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥) والمعنى : لا يكون أحدكم كامل الإيمان حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه .

كمراتب الدين الإسلامي الثلاث[١٠٨] : الإسلام بأركانه الخمسة ، والإيمان بأركانه الستة ، والإحسان بركنه العظيم ، ومعرفة الحلال والحرام ، ومما هو معلوم من الدين بالضرورة ، هذه موضوعات لا يعذر بجهلها أحد من المسلمين والمسلمات ؛ من أهل المدن وأهل القرى وأهل الهجر وغيرهم[١٠٩] .

وفي صحيح مسلم (٢٦٧٤) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :« مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » .

[107] - لقوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ وقوله أيضاً ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ .

[108] - جاء ذكر مراتب الدين الثلاث في حديث جبريل – عليه السلام – الذي يعرف بحديث (الإسلام والإيمان) وقد رواه الشيخان من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – انظر : البخاري (٥٠) ومسلم (٩) ، ورواه مسلم بأتم من ذلك من حديث عمر – رضي الله عنه – (٨) وهذا نصه :" بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – :« الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ : صَدَقْتَ. قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ :« أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ :« مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ : « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ » . قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي : « يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ » قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » .

[109] - وهذا فيه رد على من أطلقوا العنان في الكلام على مسألة العذر بالجهل بغير ضابط ولا رابط ولم يتقيدوا بفهم أئمة السلف والسائرين على نهجهم ؛ فعذروا المشركين الذين يطوفون بالقبور ويصرفون العبادة لغير الله سبحانه وتعالى فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن نجتمع في مثل هذا الاجتماع مهمتنا الدعوة إلى الله تبارك وتعالى على وجه الصواب والإخلاص ؛ والصواب والإخلاص أساسهما العلم الشرعي[١١٠] إذ الصواب لا يكون إلا ممن يحسن العلوم الشرعية بقدر ما معه ، والإخلاص كذلك لا يحصل الإخلاص إلا بقدر ما يعلم الإنسان من دين الإسلام ، وما يترتب على الإخلاص من الأجر العظيم ، وما يترتب على ضده من الإثم الكبير[١١١] .

نتفق إن شاء الله من هذا المكان[١١٢] على :

أولاً : التحصيل العلمي ليكون عند الداعية رصيد من العلوم الشرعية قد ضبطها وحفظها وفهم معانيها ، ثم يقوم بنشرها ، وهذا لابد له من سبب ؛ وسببه العناية بالتحصيل العلمي[١١٣] ، والأخذ بالوسائل النافعة التي يصبح بها طالب العلم متمكناً

---

110 - وهذا هو الذي أمر الله به نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يأمر به المؤمنين وذلك في قوله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فبين الله تعالى أن هذه هي طريقة نبيه – صلى الله عليه وسلم – التي يدعوا بها إلى الله تكون على بصيرة ؛ أي على يقين وعلم ، ومن اتبعه من أمته يقتدي به فيسير كذلك في الدعوة إلى الله على علم ، لأنه بالعلم الشرعي يصحح العبد نيته لله فيخلص له ، وقد قال بعض السلف (طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون له) أي في بادئ الأمر قد تشوب النية بعض الشوائب فإذا ما قوي علم الرجل فإنه يتخلص من تلك الشوائب ويخلص لله ، وبالعلم الشرعي يعرف كيفية الهدي النبوي في أي عمل ما ؛ وما كان عليه السلف الصالح فيتابعهم عليه ويفعله مثلهم .

111 - وذلك لأن من لم يخلص عمله لله تعالى ؛ فإن الله غني عنه لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وقد ورد في صحيح مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" قال الله تبارك وتعالى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " .

112 - وهو المسجد الذي أعطي فيه هذا الدرس وتعطى فيه كذلك دروس الدورة القرعاوية .

113 - جاء في كتاب العقد المنضد لشيخنا زيد المدخلي – حفظه الله – (١ / ١٥ - ١٨) طبعة دار المنهاج (س٢: فضيلة الشيخ، ما هي الطريقة الصحيحة للتأصيل العلمي، وما هي الطريقة الصحيحة لدراسة علم العقيدة والتفسير والفقه والحديث، وبأيها يبدأ طالب العلم ؟

ج٢: هذا السؤال يدل على أن سائله طالب علم يلتمس الطريق الصحيح في التحصيل العلمي، والحقيقة أن طالب العلم يحتاج: أولًا: إلى شيخ من أشياخ العلم الشرعي السائرين على نهج السلف الصالحين، فإن اختيار الشيخ واختيار الكتاب من الطرق الصحيحة الشرعية لتحصيل العلم.

وأما اختيار فنون العلم الشرعي من عقيدة وتفسير وحديث وفقه ولغة وسيرة نبوية، هذه العلوم لاشك أنها تحتاج إلى تأصيل وإلى حكمة في الانتقال من مرحلة إلى مرحلة، ومن إعداد الكتب من مستوى إلى مستوى، فإذا أتينا إلى العقيدة وأردنا التأصيل الصحيح، فليبدأ طالب العلم بدراسة الأصول الثلاثة للإمام المجدد الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) : ففيها من العلم الغزير في هذا الباب الشيء الكثير الذي لا يجهله طلاب العلم السائرين على منهج السلف الصالح في طلب الفقه في الدين، ثُم القواعد الأربع مع كشف الشبهات مع رسالة أصول الإيمان، هذه الرسائل تعتبر في باب الاعتقاد من الأصول التي يبنى عليها غيرها من علوم الشريعة، فإذا تولى تبيانها صاحب عقيدة سلفية صحيحة ونهج سلفي كذلك سطع النور من خلالها للطالب، وانتقل إلى ما هو أرفع منها مستوى ككتاب التوحيد، ثُم ينتقل من كتاب التوحيد إلى العقيدة الواسطية للإمام المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : ثُم بقية كتبه كالحموية والتدمرية ثُم العقيدة الطحاوية، وبعد ذلك يستطيع أن يقرأ في السنن التي تتعلق ببيان السنة والتحذير من البدع وهي السنن المعروفة كأصول الاعتقاد للالكائي (ت٤١٨هـ) وكتاب السنة للخلال (ت٣١١هـ) وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد (ت٢٩٠هـ) وكتاب الإبانة للعكبري (ت٣٨٧هـ) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (ت٣١١هـ) إلى غير ذلك من الكتب التي تعنى بهذا الفن.

وأما ما يتعلق بالتفسير: فالذي أختاره لطلاب العلم هو كتاب ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : وكتاب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ) :، وأخص مختصر تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعي؛ لأن صاحبه نهج في الاختصار منهج السلف حسب علمي، ثُم إذا استطاع أن يتخرج في هذه الكتب فليأخذ تفسير البغوي (ت٥١٦هـ) وما عدا ذلك من التفاسير إذا ذهب يقرأ فيها، ويطلع على ما فيها بعد قراءة تلك الكتب يكون قد أبصر إن وجد شيئًا من التأويل المذموم فيها كما في تفسير القرطبي (ت٦٧١هـ) والتفاسير الأخرى كتفسير ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، وتفسير الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) مع أن في هذه التفاسير الخير الكثير والعلم الغزير إلا أن مؤلفيها -رحمة الله عليهم- وقعوا في تأويل بعض نصوص الصفات -وهو قليل في

من العلوم الشرعية ، إن سئل أجاب وإن احتاج الناس عليه[١١٤] – وهم محتاجون طبعاً – في الخطابة والموعظة[١١٥] والصلاة[١١٦] ؛ أحسن في كل ذلك ، فإن كان قبل

شيء من التأويل- وافقوا فيه من أول بعض نصوص القرآن والسنة تأويلًا مذمومًا، ولذلك أسباب أشهرها حسب علمي ثلاثة:

أحدها: البيئة التي يعيش فيها المفسر.

الثاني : المشيخة الذين يأخذ على أيديهم العلم.

الثالث: التتلمذ على الكتب، فللتتلمذ على الكتب أثره في فهم الإنسان وفقهه.

وأما بالنسبة للحديث: فأول ما يبدأ طالب العلم بالأربعين النووية حفظًا وفهمًا ولو على المهم من المعاني، ثُم يتدرج إلى عمدة الأحكام، فبلوغ المرام، وهكذا يرتقي إلى المنتقى وشرحه، ثُم يستطيع بعد ذلك أن يقرأ في الصحيحين والسنن وغيرها من كتب السنة؛ لأن العقل ينمو والعلم ينمو عند الإنسان بحسن النية وسلامة القصد والاستمرار في الطلب بدون انقطاع.

وهكذا في الفقه الإسلامي: إن الطالب بمجرد قراءته للحديث يأخذ فقهًا عظيمًا من الأحاديث بحسب من يتتلمذ على أيديهم، ولكن يأخذ كتابًا في الفقه كعمدة الفقه مثلًا وهذا من التأصيل في الفروع، أو زاد المستقنع، وقد أكرم الله الأمة بشروح متعددة لزاد المستقنع من العلماء القدامى والمعاصرين، ومن الشروح السهلة من علمائنا المعاصرين ما كتبه العلامة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين : في كتابه الشرح الممتع وهو ممتع بحق لما اشتمل عليه من بحوث نافعة وتفريعات فريدة أثابه الله ونفع بعلمه وزاده من فضله.

وأما في السيرة النبوية: فيبدأ الطالب بمختصر السيرة النبوية للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، ثُم بعد ذلك بسيرة ابن هشام (ت١٨٣هـ)، والآن والحمد لله قد هذب كثير من كتب السير. وهكذا تحتاج هذه العلوم الشرعية إلى دراسة وسائل من أصول الفقه وقواعد المصطلح، ومن العناية باللغة العربية والقواعد الفقهية، فيصبح الإنسان ذا معرفة مستمدة من أدلة الكتاب والسنة بالفهم الصحيح، وفي كل ذلك هو لا يقتصر على القراءة الحرة أو الفردية، بل عليه أن يرحل إن لم يجد شيخًا في بلده إلى بلد على منهج علماء السلف في الرحلة في طلب العلم إن استطاع الرحلة، فإن لم يستطع الرحلة وقرأ في كتاب فعليه أن يدون ما أشكل ويسلك نوعًا سهلًا من أنواع الرحلة في هذا الزمن، ألا وهو الاتصال بالعلماء بواسطة الهاتف ليأخذ بغيته بدون مشقة والحمد لله. والله أعلم.)اهـ

114 - كذا قال ؛ ولعل الصواب : إليه .

ذلك قد أعد رصيداً من التحصيل العلمي استطاع أن يقوم بمهمته التي تسند إليه من خطابة وإمامة[١١٧] وموعظة وبذل نصيحة[١١٨] وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ودعوة إلى الله تبارك وتعالى[١١٩] ، وقد أعد نفسه إعداداً بعناية بحيث أحضر المكتبة المترلية

---

115 - أي خطبة الجمعة وما عداها من دروس علمية فيها الموعظة الحسنة تذكيراً للناس بما يصلح أحوالهم ويقربهم إلى الله تبارك وتعالى .

116 - أي يؤمهم في الصلاة لأنه أكثرهم علماً .

117 - أي يستطيع أن يؤمهم في الصلاة على الوجه المطلوب ، كذلك يكون قدوة لهم بسبب تطبيقه للعلم .

118 - النصيحة كلمة جامعة ؛ ومعناها حيازة الخير للمنصوح له ، وقد جاءت الأدلة بالحث عليها والترغيب فيها ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه (٩٥) عن تميم الداري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ :« لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » . وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » . [البخاري (٥٧) ومسلم (٩٧)] .

119 - لقوله تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) قال ابن جرير في تفسيره (٧/ ٩٠) : (يعني بذلك جل ثناؤه:" وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ " أيها المؤمنون " أُمَّةٌ " يقول : جماعة " يَدْعُونَ " الناس " إِلَى الْخَيْرِ " يعني إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده " وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ " يقول: يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله " وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ " يعني وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله، بجهادهم بالأيدي والجوارح، حتى ينقادوا لكم بالطاعة. وقوله:" وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "، يعني : المنجحون عند الله الباقون في جناته ونعيمه.)اهـ

ولابد أن تكون الدعوة إلى الله قائمة على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وكما قال أيضاً ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ فهذا

واختار فيها الكتب النافعة بمشورة العلماء[١٢٠] ، وجعل لها من أغلى الأوقات[١٢١] قراءة وتلخيصاً[١٢٢] وفهم[١٢٣] للأحكام والمعاني[١٢٤] ، فيكون أول منتفع بإعداده

هو الأصل ؛ فإن احتاج الأمر إلى شدة منه على المخالف اشتد فهذا من الحكمة أيضاً فلكل مقام مقال .

120 - هذا قيد هام جداً من شيخنا – حفظه الله – وذلك لأن مشورة العلماء الثقاة عصمة من الزلل ، والطالب إذا لم يستشر أهل العلم تخبط في جمع الكتب فجمع بين الغث والثمين والصالح والطالح ؛ وربما تخرَّج على كتب أهل البدع والأهواء وهو لا يدري ؛ لأنه ليست عنده القدرة العلمية التي يميز بها بين هذا وذاك .

121 - ينبغي على المرء أن يعتني بالوقت ويهتم به غاية الاهتمام وأن يبذل فيه أكبر عناية حتى يغتنمه ويغتنم كل لحظة من عمره فيما ينفعه ويرضي ربه سبحانه وتعالى ويبتعد عما يشينه ويغضب ربه . والوقت أنفس ما عني المرء بحفظه لذا قال القائل :

الوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

فالكيس من حافظ عليه وحرص على الاستفادة منه ، والبليد من ضيعه فيما لا ينفعه ، فحري بكل عاقل أن يحفظ وقته ليدرك المعالي وينجو من العقاب .

122 - والمراد بذلك كثرة المطالعة مع التلخيص حتى يضبط الطالب ما يطالعه ، والأمر لا يقتصر على ذلك فحسب بل لابد من الحفظ فإن الحفظ هو زاد الطالب وقد قال بعض الشعراء :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئٍ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم ولا تطلب به بدلاً الناس موتى وأهل العلم أحياء

123 - كذا قال ؛ ولعل الصواب : فهماً .

124 - أي الفهم الصحيح الذي على وفق ما فهمه أئمة السلف لا أن يفهم فهما باطلاً من قبل نفسه ، وغالب الفهم السقيم إنما يأتي بسبب التشيخ على الكتب دون شيخ مباشر ولذلك قال أئمة السلف (من كان شيخه كتابه غلب خطؤه صوابه) .

لنفسه وإعداد هذه الوسيلة والرصيد الذي تسبب في وجوده المكتبة المترلية التي لا يستغني عنها بيت مسلم[١٢٥] .

وأنا وإياكم ومن في مستواكم في كل مكان الدعوة إلى الله عز وجل من الواجبات علينا[١٢٦] ، إذا لم يقم بالدعوة أهل العلم فمن الذي يقوم بها[١٢٧] ؟! وقد عرفنا بأنك

---

125 - نعم هذا صحيح ، وقد جربته بنفسي فانتفعت نفعاً كبيراً بفضل الله تبارك وتعالى بالمكتبة المترلية التي انتقيتها من كتب أئمة السلف الصالح – رحمهم الله – وفي مجال الدعوة أقوم بالإعداد والتجهيز للدروس والخطب حتى أبلغ الناس شريعة ربهم سبحانه وتعالى فكنت والله أول المستفيدين بالبحث والمطالعة .

126 - ذكر شيخنا – حفظه الله – أن الدعوة إلى الله من الواجبات عليه وعلى من في مستوى الحضور من طلاب العلم ؛ لأنهم على بصيرة تمكنهم من دعوة الناس إلى الحق وتخليصهم من الباطل .

والحقيقة أن هذه المسألة من المسائل التي اختلف أهل العلم فيها ؛ هل الدعوة إلى الله فرض عين أم فرض كفاية ؟ ويرجع سبب الاختلاف إلى اختلافهم في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ هل (من) في قوله ﴿ مِنْكُمْ ﴾ تبعيضية أو بيانية ؟ فمن رأى أنها (تبعيضية) حكم بأن الدعوة إلى الله فرض كفاية ؛ ومن رأى أنها (بيانية) حكم بأن الدعوة إلى الله فرض عين . ولا شك أن الذي ترجحه الأدلة أن الدعوة إلى الله فرض كفاية لأنه ليس كل الناس مؤهلين علمياً للقيام بهذا الشأن العظيم وهو عمل الأنبياء الكرام والرسل العظام ، وعلى هذا فينبغي أن توجد الأمة نفراً من الناس ليكونوا مؤهلين التأهيل العلمي الجيد وإلا أثموا جميعاً ، والكلام في المسألة كثير لكنني أختم بهذه الفتوى لشيخنا زيد – حفظه الله – فقد سئل عن هذه المسألة على وجه التحديد ؛ وهذا نص السؤال مع الجواب : (السؤال : هل الدعوة إلى الله فرض عين أم فرض كفاية ؟

الجواب : الدعوة إلى الله فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين ولها في ميزان الشرع شأن عظيم ولأهلها شرف كبير لأنهم ورثة الرسل الكرام والأنبياء العظام والصالحين من الأنام قاموا بها امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ولقوله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ وقد ورد الترغيب فيها في نصوص من الكتاب والسنة منها قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ

لا تستطيع أن تكون معلماً حتى تكون متمكناً من العلوم الشرعية بقدر ما تستطيع وإلا فالجاهل لا يعلم أحداً ؛ فاقد الشيء لا يعطيه ، فلابد من الأخذ بالوسائل ليصبح

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ والدعوة إلى الله من خير الحسنات وخير الفرائض والقربات لما فيها من النفع المتعدي والإحسان إلى الغير لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – :" فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم " ، ولبعثه الدعاة إلى الله ليعلموا عباد الله دين الله الحق فيظفروا بالأجر العظيم كما قال – صلى الله عليه وسلم – :" من دلَّ على هدى كان له مثل أجر من عمل به لا ينقص من أجورهم شيئاً " وغير هذه النصوص في هذا المعنى كثير إذا فهم هذا فإن الدعوة إلى الله لا يستغني عنها فرد من الأفراد ولا مجتمع من المجتمعات ولا أمة من الأمم بل حاجة أولئك جميعاً إليها أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب والنفس الذي تستقر به حياتهم وإذ كان الأمر كذلك فكن يا طالب العلم داعياً إلى الله على بصيرة ترجو ثواب الله وتلتمس نيل رضاه والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وهذا السؤال يجرُّنا إلى الإشادة بما تقوم به وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية من عناية بتنظيم الدعوة إلى الله بواسطة الإدارات العامة في جميع المناطق والمكاتب التعاونية التي تُعنى بإرشاد الناس على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم ولغاتهم في المحافظات المشتملة على المدن والقرى بالإضافة إلى معرض أنشأته ليكون كل عام في منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية والذي سيقام في هذا العام في منطقة جازان بنشاط دعوي وفرت له الوسائل من قبل الوزارة ليؤتي ثماره يانعة مفيدة بعد أن أقيم في مناطق متعددة في شرق المملكة وشمالها وغربها فجزى الله القائمين عليه خير الجزاء وعلى رأسهم معالي وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الشيخ / صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وفقنا الله وإياه لنشر الدعوة إلى الله لنظفر بالأجر الوفير والخير الكثير ومع الوزير وكلاؤه في وزارة الشئون الإسلامية ومن جملة الشئون شأن الدعوة إلى الله عز وجلّ هذا ما أحببت التنبيه به إجابة على سؤال السائل وما يتعلق به ؛ وبالله التوفيق . المجيب على السؤال / زيد بن محمد بن هادي المدخلي حرر في ١٤٢٨/١٢/١٨هـ)اهـ المصدر : فتوى مكتوبة نشرت قديماً على الموقع القديم للشيخ .

[127] - نعم ؛ صدق شيخنا – حفظه الله – (إذا لم يقم بالدعوة أهل العلم فمن الذي يقوم بها) فإن سكوت أهل الحق عن تبليغه جرَّأ أهل الجهل والفهم السقيم من الفرق الضالة على التكلم في دين الله تبارك وتعالى بما ليس منه فاتبعهم خلق ليسوا بالقليل فحادوا عن هدي السبيل .

الطالب العلم منا[١٢٨] متمكناً من العلوم الشرعية لا سيما فروض العين وأن يكون ناشراً لها ابتداء من الأسرة ، وهكذا الانطلاق بدون حدود في حدود القدرة والاستطاعة .

وقد أمر الله تبارك وتعالى من عنده علم أن يعلم به فلا يبخل به أبداً كما قال عز وجل ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[١٢٩] والآية عامة تتناول كل من آتاه الله شيئاً من العلم لا يجوز له أن يبخل به بل ينفق منه وينتظر من الله الأجر والزيادة في العلم .

---

128 - هذا من تواضع شيخنا – حفظه الله – واقتدائه بمن سلف من أهل العلم فكان الواحد منهم يعترف بأنه طالب علم ، وهذا حق لأنه يظل في طلب العلم حتى الموت كما قال الإمام أحمد مع العلم من المهد إلى اللحد ، ومع المحبرة إلى المقبرة . وأما بالمقارنة مع غيره فإن شيخنا علامة ولا شك وقد نفع الله بعلمه .

وبهذه المناسبة فإنني لأتعجب أشد العجب ممن هو قليل البضاعة العلمية ويتخبط هنا وهناك ؛ ثم يرضى بأن يوصف بأنه عالم وبحاثة ومحقق ومدقق ! بل لقد غلا البعض فقال : فلان الحافظ ! ولا أملك إلا أن أقول تجاه ذلك : هزلت والله ؛ وإنا لله وإنا إليه راجعون .

129 - (سورة آل عمران آية : ١٨٧) . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢ / ١٨٠-١٨١) : (هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب ، الذين أخذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وأن ينوهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والحظ الدنيوي السخيف ، فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بيعتهم . وفي هذا تَحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم ، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئاً ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :" من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ".)اهـ

وقد حذر النبي – صلى الله عليه وسلم – من الكتمان وتوعد عليه بأشد الوعيد :" من كتم علماً مما يحتاج الناس إليه ألجم بلجام من نار يوم القيامة "[١٣٠].

فيلزمنا معشر الطلاب – طلاب العلم – يلزمنا تعليم الناس الجاهلين وتذكير الغافلين ومذاكرة المتعلمين ، فالحياة الطيبة المباركة ؛ حياة التعلم والتعليم والتفقه في دين الله والنشر[١٣١] ، هذه حياة الصالحين من عباد الله في كل زمان ومكان ولا عبرة بغير ذلك؛ لا بالأموال ولا بالأولاد ولا بالجاه والسلطان ؛ ولكن بميراث الأنبياء وعمل الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – كما في الحديث الثابت :" إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر "[١٣٢] .

---

130 - صحيح : رواه أحمد (١٠٤٢٠) وابن أبي شيبة (٢٦٤٥٣) وأبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وابن ماجه (٢٦٤) وابن حبان (٩٥ ، ٩٦) والطبراني في الكبير (٨٢٥١ ، ١٠٠٨٩) وفي الأوسط (٣٣٢٢) والصغير (١٦٠، ٣١٥ ، ٤٥٢) والحاكم في المستدرك (٣٤٤) وقال : (وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)اهـ ووافقه الذهبي . ورواه القضاعي في مسند الشهاب (٤٣٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٩٦٩) وصححه الألباني في المشكاة (٢٢٣) وقال : (وقد أعل بالانقطاع وليس بشيء)اهـ

131 - أي نشر العلم .

132 - رواه أحمد (٢١٧١٥) وأبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وصححه الألباني في المواضع الثلاثة الأخيرة ، وفي صحيح الجامع (٦٢٩٧) وقال في المشكاة (٢١٢) : حس . وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠): حسن لغيره .

ورواه ابن حبان في صحيحه (٨٨) وقال عقبه : (فِي هَذَا الْحَدِيث بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ لَهُمُ الْفَضْلُ الَّذي ذَكَرْنَا: هُمُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ عِلْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: (الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ) وَالْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوَرِّثُوا إِلَّا الْعِلْمَ وعلمُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّتُه فَمَنْ تعرَّى عَنْ مَعْرِفَتِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ)اهـ

وكم من نصوص في الكتاب والسنة أرشدنا الله تبارك وتعالى فيها إلى العناية بالعلم الذي مصادره ثلاثة : الكتاب العزيز[١٣٣] ، والسنة المطهرة[١٣٤] ، وما أجمع عليه علماء المسلمين[١٣٥][١٣٦] ، وما استند إلى هذه الثلاثة فهو منها[١٣٧] غير أنه لا يكفى أن تقرأ القرآن ، لابد أن تبذل جهداً مهماً عظيماً في معرفة أحكام القرآن وموضوعات القرآن التي جاء لها لبيانها وتأخذ نصيباً وافراً وحظاً من السنة المطهرة لا سيما أحاديث الأحكام والأخبار عن المغيبات ؛ عن اليوم الآخر وما فيه[١٣٨] ،

---

133 - وهو القرآن الكريم ، وهو كلام الله اللفظ العربي المنزل على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – بواسطة الوحي وهو جبريل عليه السلام ، الذي نقل إلينا بالتواتر ، والذي تعبدنا الله بتلاوته ، والذي تحدى الله به كفار قريش بأن يأتوا بأقصر سورة من مثله فعجزوا . وهو كلام الله المنزل غير مخلوق ، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بإجماع أئمة السلف .

134 - السنة هي : كل ما ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلقية . ويختلف حكم الوارد فيها بحسب مدلوله فما دل على الوجوب وليس هناك صارف له فهو واجب ، وما واظب النبي – صلى الله عليه وسلم – عليه من غير أمر ولم يتركه فهو سنة مؤكدة كالسنن الرواتب والوتر ؛ وهكذا .

135 - الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن والسنة ، والمراد به كما ذكر أهل العلم : اتفاق مجتهدي العلماء من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – في عصر من العصور على حكم شرعي في أمر من أمور الدين بعد وفات النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ لا عبرة بقول غيره في حياته .

136 - فحري بكل مسلم عاقل أن يعض بالنواجذ على هذه المصادر العظيمة ؛ التي من تمسك بها سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ضيعها وأهملها وجعلها خلفه ظهرياً فالهلاك الهلاك ولا يلومن إلا نفسه .

137 - أي وما اعتمد على هذه الثلاثة ونبع ؛ فهو منها ، فجدير بطالب العلم أن يعتني بها وبكل ما استمد منها في جميع أنواع العلم الشرعي .

138 - وذلك لأن السنة النبوية هي المبينة للقرآن الكريم كما قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ فكل ما أخبر به النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – وصح عنه الخبر بذلك فيجب الإيمان به ؛ لأن كلامه وحي من الله تعالى كما جاء في القرآن الكريم ﴿ وَمَا

والشعائر التعبدية حتى تكون قد أخذت نصيباً من تلاوة كتاب الله[١٣٩] وفهم معانيه والعمل بمقتضاه[١٤٠] ، فمدح الله العلم والعلماء وذم الجهل والجاهلين ، وكما أسلفت لا يأتي العلم بدون بذل الجهد في التعلم ، فنحن والحمد لله أصحاب سنة وأصحاب فهم للميراث النبوي[١٤١] لا كما تقول الصوفية الضالة[١٤٢] أن العلم يترل فيوضات على بعض الناس على القلوب[١٤٣] ؛ يعني بدون تعلم ، هذه من الخرافات ومن البدع

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ وقد صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :" ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه " رواه أحمد (١٧١٧٤) وأبو داود (٤٦٠٤) وابن حبان (١٢) وغيرهم ؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٣) وغيره .

139 - وذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد رغب قي قراءة القرآن وبيَّن أن لها أجراً كبيراً فقال :" من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول : الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف " رواه الترمذي (٢٩١٠) وغيره ، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٢٧) وفي صحيح الجامع (٦٤٦٩) .

140 - أي على وفق فهم وعمل السلف الكرام ، لأن كل فهم وعمل يضاد فهم وعمل السلف فهو مردود على صاحبه لأن السلف هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة فمن رام النجاة سلك سبيلهم واستمسك بغرزهم ، ومن لم يستمسك بذلك فلقي العقاب من الملك الوهاب فلا يلومن بعدها إلا نفسه .

141 - وهو العلم الشرعي ؛ كتاباً وسنة بفهم سلف الأمة .

142 - الصوفية فرقة ضالة بعيدة عن هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم ، إذ هم يبتدعون عبادات بكيفيات ما أنزل الله بها من سلطان بل يصل الأمر ببعضهم للوقوع في الشرك الأكبر عياذاً بالله تعالى وذلك من خلال طوافه بالقبور وإخراجه لهم النذور والذبح لهم وهذا يضاد التوحيد ، وغير ذلك من بدعهم ومخالفاتهم ومخازيهم ، فحري بكل مسلم أن يتبصر بما عليه الصوفية من بدع وضلالات وشركيات حتى ينجو من عقاب الله جل وعلا ويحظى برضوانه .

143 - يستدل المتصوفة على أن العلم يترل فيوضات من الله تعالى بلا تعلم بقوله تعالى في سورة الكهف ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ فيزعمون أن الولي يترل عليه العلم فيوضات وأنه أفضل من النبي لأن الخضر علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام ! حتى قال قائلهم :

المضلة ، ومن صَرْفِ الناس عن علم الكتاب والسنة ، أما أهل السنة والحمد لله يعرفون أنه لا مصدر للعلم إلا الكتاب العزيز والسنة المطهرة وما أجمع عليه علماء المسلمين في كل زمان وفي كل مكان .

فلنتفق جميعاً من هنا على الإعداد لنصبح عندنا حصيلة من العلم ننتفع به وننفع به غيرنا كدعاة إلى الله تبارك وتعالى .

بيَّن الله عز وجل فضل العلم والعلماء في آيات متعددات ، وبيَّن النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – كذلك فضل العلم والعلماء كما قال الله عز وجل ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[١٤٤]، وقال سبحانه ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[١٤٥] أهل

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ولا شك أن كلامهم هذا باطل محض لأن الخضر عليه السلام كان نبياً والدليل على ذلك ما جاء في الآيات نفسها ؛ قوله تعالى ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ والمراد بالرحمة النبوة كما ذكر ذلك المفسرون ، وقوله أيضاً ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ أي لم يفعل تلك الأشياء من قبل نفسه وإنما كانت بوحي من الله تعالى .

ومما يجدر التنبيه عليه أنه ليس معنى أن الخضر يعلم أشياء خفيت على موسى أنه أفضل من موسى – عليهما السلام – فإن موسى أفضل منه باتفاق أهل العلم لأنه من أولي العزم من الرسل ، والخضر ليس كذلك .

144 - (سورة المجادلة آية : ١١) .

قال الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسيره : ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين ، الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات ، إذا عملوا بما أمروا به .

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في الفتح (١/ ١٤١) : (قوله ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ قيل في تفسيرها : يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم ، ورفعة الدرجات تدل على الفضل ، إذ المراد به كثرة الثواب وبها ترتفع الدرجات ، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت ، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة .)اهـ

145 - (سورة الرعد آية : ١٩) .

العقول السليمة الذين اهتدوا إلى الأخذ بما يصلح شؤنهم في دينهم ودنياهم ، وأساس ذلك العلم الشرعي الذي أوحاه الله تبارك وتعالى إلى رسله وأنبيائه وكان لهذه الأمة أعظم حظ ؛ خير كتاب أنزل[١٤٦] على خير نبي بعث وأرسل[١٤٧] ، الفرقان[١٤٨] ومعه مثله السنة المطهرة وقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – عن هذه النعمة

قال الإمام ابن جرير – رحمه الله – في تفسيره (١٦/ ٤١٨) : (يقول تعالى ذكره : أهذا الذي يعلم أن الذي أنزله الله عليك يا محمد ، حق فيؤمن به ويصدق ويعمل بما فيه ، كالذي هو أعمى فلا يعرف موقع حُجَة الله عليه به ولا يعلم ما ألزمه الله من فَرَائصه ؟)اهـ قلت : كذا في أكثر من نسخة وقفت عليها (فرائصه) ولعل الصواب فرائضه ؛ والله أعلم .

وقال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره (٤/ ٤٥٠): (يقول تعالى : لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي ﴿ أُنزلَ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ هو ﴿ الْحَقُّ ﴾ أي : الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه ، بل هو كله حق يصدق بعضه بعضاً ، لا يضاد شيء منه شيئا آخر ، فأخباره كلها حق ، وأوامره ونواهيه عدل ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا ﴾ أي : صدقاً في الإخبار ، وعدلاً في الطلب ، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه ، ولو فهمه ما انقاد له ، ولا صدقه ولا اتبعه ، كما قال تعالى : ﴿ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ أي : أفهذا كهذا ؟ لا استواء . وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ أي : إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة ، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه .)اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – في تفسيره : (يقول تعالى : مفرقاً بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ﴾ ففهم ذلك وعمل به . ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ لا يعلم الحق ولا يعمل به فبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض ، فحقيق بالعبد أن يتذكر ويتفكر أي الفريقين أحسن حالا وخير مآلاً فيؤثر طريقها ويسلك خلف فريقها ، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره . ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ أي : أولو العقول الرزينة ، والآراء الكاملة ، الذين هم لُبّ العالم ، وصفوة بني آدم)اهـ

146 - وهو القرآن الكريم .

147 - وهو نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – .

148 - سمي القرآن فرقاناً ؛ لأنه فرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال .

بقوله " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه "[١٤٩] أي السنة المطهرة التي مع القـــرآن في الأحكام ؛ بيان الحلال والحرام[١٥٠] والتوجيه لأمة محمد – عليه الصلاة والسلام – إلا من أبى ؛ أي من أعرض عن التفقه في هذين الثقلين الكتاب العزيز والسنة المطهرة[١٥١] .

فعلينا جميعاً بارك الله فيكم أن نخطط التخطيط السليم بوضـــع مكتبـــات في البيـــوت واختيار الكتب[١٥٢] واختيار أغلى الأوقات للمذاكرة[١٥٣] وأيضاً اختيار الزملاء أهل

---

149 - صحيح : رواه أحمد (١٧١٠٨) وأبو داود (٤٦٠٤) وابن ماجه (١٢) والطـــبراني في مسند الشاميين (١٠٦١) والخطيب البغدادي في الكفاية (ص ٨) والفقيه والمتفقه (٢٦٣) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٧٠) وصحيح الجامع (٢٦٤٣) والمشكاة (١٦٣) .

150 - قال الله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[سورة النحل آيـــة : ٤٤] فأخبر الله تعالى أنه أنزل الذكر وهو القرآن الكريم على نبيه – صلى الله عليه وســـلم – ليبينـــه للناس ، فدل هذا على وجود مبيِّن ومبيَّن ، فالمبيِّن هو الرسول – صـــلى الله عليـــه وســـلم – بشخصه حال حياته ؛ وسنته بعد وفاته ، والمبيَّن هو القرآن الكريم .

151 - جاء في صحيح البخاري (٧٢٨٠) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَـــالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى " .

152 - وهذا أمر مهم جداً ، فلابد أن يختار الكتب العلمية النافعة المفيدة لأئمة السلف ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم ، ويبتعد عن كتب أهل البدع والأهواء فإنه لا خير فيها ، وما فيها من حق وصواب فهو موجود عند أهل السنة من السلف ؛ فلا ينبغي لطالب العلم المبتدئ أن يغـــامر ويقرأ في كتب لأناس عليهم مؤاخذات فقد يدخل ويظن نفسه قادراً على التمييز ؛ فـــلا يكـــاد يخرج إلا وقد أشرب بدعة المؤلف ! نسأل الله السلامة والعافية .

لذا ينبغي لطالب العلم أن يستشير العلماء الثقات أو من سبقه في طلب العلم من الطلبة الأقوياء فيما يقرأ حتى يتدرج تدرجاً صحيحاً يجعله صاحب مكنة علمية ويكون مؤهلاً لأن يكـــون مـــن العلماء الثقات والجهابذة الأفذاذ .

153 - الوقت بالنسبة لطالب العلم هو زاده الذي يتبلغ به ، فجدير به أن يحافظ عليه ، فيغتـــنم خير الأوقات فيحفظ فيها ويراجع محفوظاته ، ومن جملة اغتنام الوقت والحرص عليه السير على

السنة لمذاكرة العلم ، فما أحسنها عندما يتذاكر اثنان فأكثر في مسائل العلم يخرجون بفائدة عظمى ، فائدة من العلم وفائدة من الأجر ، تصحبهم ملائكة الله الكرام سواء في مسجد أو في بيت أو في أي مكان ؛ " إن لله ملائكة سياحين يتتبعون – مجالس العلم[١٥٤] – مجالس الذكر "[١٥٥] وهي مجالس العلم ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله جلسوا معهم حتى يتفرقوا ، وهذا من الشرف العظيم لمن يحرص على مذاكرة العلم والجلوس في حلقاته سواء معلم أو متعلم .

فلنحرص على ذلك ونجعله في رأس القائمة من أعمالنا ، وقبل كل شيء فالعلم أساس كل خير ؛ ديني ودنيوي ، ولا فلاح بدونه ، فإن الله تبارك وتعالى ذم الجهل

برنامج علمي عملي حتى يتدرج في طلب العلم ، ويسير السير الصحيح فلا يتخطى مرحلة من المراحل إلا وقد أتقن التي قبلها وإلا ضاع وقته بلا فائدة لأنه لابد من التدرج إذ ما يطيقه الكبير لا يطيقه الصغير فلكل أدواته وقدراته فالعاقل من التزم التدرج ومن لم يلتزمه فإنه يتعثر الطريق ويخطئ الفهم الدقيق نسأل الله السلامة والعافية .

154 - لعل هذه الجملة سبق لسان من شيخنا – حفظه الله – .

155 - ورد هذا المعنى في الحديث المتفق عليه عند البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩) واللفظ له ، عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالسَ الذِّكْرِ . فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ . وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا . فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ . قَالَ : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ . قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا : لاَ أَيْ رَبِّ. قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ . قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : لاَ . قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ . قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا . قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ . قَالَ : فَيَقُولُ : وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ».

والجاهلين[١٥٦] ، ونهى نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – بقوله ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[١٥٧] وقال لنوح ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[١٥٨] والآية التي سبقك ذكرها ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾[١٥٩] لا يستوي المبصر والأعمى ، لا حساً ولا معنى[١٦٠] .

---

156 - الجهل ينقسم إلى نوعين : جهل بسيط ، وجهل مركب . فالجهل البسيط هو : عدم معرفة الشيء ، والجهل المركب هو : معرفة الشيء على غير حقيقته . فالأول كمن سئل عن عمر النبي – صلى الله عليه وسلم – وقت وفاته ؛ فقال لا أدري ، والثاني كمن سئل عنه فقال بالنقص أو الزيادة ، أو كمن سئل عن أول الخلفاء الراشدين فقال عمر ، والصواب أبو بكر .

157 - (سورة الأنعام آية : ٣٥) .

قال الإمام ابن جرير – رحمه الله – في تفسيره (١١/ ٣٤٠) : (فلا تكونن ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه بلطفه ، وأنَّ من يكفر به من خلقه إنما يكفر به لسابق علم الله فيه ، ونافذ قضائه بأنه كائنٌ من الكافرين به اختيارًا لا اضطرارًا ، فإنك إذا علمت صحة ذلك، لم يكبر عليك إعراضُ من أعرض من المشركين عما تدعُوه إليه من الحق ، وتكذيبُ من كذَّبك منهم .)اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – في تفسيره : (﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ الذين لا يعرفون حقائق الأمور، ولا يتزلونها على منازلها.)اهـ

158 - (سورة هود آية : ٤٦) .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – في تفسيره : (أي : إني أعظك وعظاً تكون به من الكاملين ، وتنجو به من صفات الجاهلين .)اهـ

159 - (سورة الرعد آية : ١٩) وقد تقدم الكلام عليها آنفاً .

160 - في مثل هذا المعنى قال الله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ . قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله – في تفسيره : (﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ﴾ ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم ﴿ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ شيئاً من ذلك ؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء ، كما لا يستوي الليل والنهار ، والضياء والظلام ، والماء والنار .)اهـ

فوصيتي[١٦١] لنفسي ولكم العناية بالكتاب العزيز والسنة المطهرة تلاوة وفهماً للمعاني ونشراً بين الناس ليعظم الأجر وتبرأ الذمة ، ويستفيد المجتمع من طلاب العلم الـــذين بين أظهرهم كما فيها سيرة سلفنا الصالحين الذين جمعوا هذه العلوم المبثوثـــة في دنيـــا البشر اليوم كلها على اختلاف أنواعها من تفسير وحديث وفقه وتأريخ وغير ذلـــك كلها بفضل الله ثم بجهود أولئك الأسلاف الأفاضل الذين وفقهم الله ونشروا هذا العلم حتى وصل بين أظهرنا في هذا الزمن[١٦٢] .

وأقتصر على هذا القدر ، وأسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد ومحبة العلم والعلمـــاء والسير على نهج السلف الصالح عقيدة وشريعة[١٦٣] .

161 - الوصية هنا ليس المراد بها الوصية التي ذكرها الفقهاء في كتبهم وهي إيجاب الشخص على نفسه شيئاً ما ليس بواجب ؛ وإنما هي مصروفة هنا إلى النصيحة فكأنه يقول : نصيحتي لنفـــسي ولكم . والنصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الخير للمنصوح له ، وقد ذكرت هذا آنفاً .

162 - فجدير بمن سمت همته أن يعض بالنواجذ على مثل هذه الوصية القيمة من هذا العالم الكبير فيعتني بالقرآن والسنة عناية كبيرة على وفق منهج السلف وأن يبلغ ذلك للناس حتى يحقق الثمرة المرجوة من طلب العلم وتبرأ ذمته فلا يلحقه الإثم بعد ذلك على هلاك هالك لأنه لم يقـــصر في دعوة الناس .

فجدير بكل مسلم أن يقتدي بهؤلاء الأسلاف فيتعلم ويعلم الناس الخير فيكون قدوة لغيره بعـــد ذلك فيحظى بأجره وأجر من تابعه في تطبيق الحق الذي بلَّغه .

163 - هذا دعاء طيب من شيخنا – حفظه الله – إذ من وفقه الله وسدده للحق والعمـــل بـــه ؛ وأحب العلم والعلماء وسار على منهج السلف الصالح عقيدة وشريعة ؛ سعد في الدنيا والآخرة ، أما سعادته في الدنيا فبتوفيق الله له وشعوره بالطمأنينة وراحة البال ، وأما في الآخرة فبالنعيم المقيم في جنات النعيم والنظر إلى وجه الله الكريم .

الكلمة الختامية للدورة القرعاوية

لفضيلة الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالى

وهي كلمة ألقاها الشيخ في اختتام الدورة القرعاوية السابعة عشر لعام ١٤٣٢هـ

تحقيق وتعليق

أبي عبد الله

وائل بن علي بن أحمد الأثري

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فبين يدي القارئ الكريم الكلمة الختامية للدورة القرعاوية السابعة عشر لعام ١٤٣٢هـ لشيخنا العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي – حفظه الله – والتي ألقيت في يوم الأربعاء الموافق : ٥/ شعبان / ١٤٣٢هـ وقد بدا لي بعد أن انتهيت من التحقيق والتعليق على الكلمة الافتتاحية للدورة القرعاوية السابعة عشر لعام ١٤٣٢هـ والتي هي بعنوان (فقه الدعوة ونعوت الداعية) القيام بتفريغ الكلمة الختامية أيضاً وتحقيقها والتعليق عليها بما يناسبها ؛ وذلك لوجود مناسبة بين موضوع المحاضرتين فهذه كالمكملة لمحاضرة الافتتاحية ، لذا رأيت إدراجها معها حتى يتم النفع ويستفيد القارئ من هذه وتلك فقد تكلم شيخنا بكلام جيد قد وفق فيه بفضل الله تبارك وتعالى فينبغي العض عليه بالنواجذ فهو من العلماء الربانيين الذين يستفاد منهم ويحرص على قراءة كتبهم واستماع دروسهم .

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

الكلمة الختامية للدورة القرعاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،، أما بعد :

فالشكر لله تبارك وتعالى أولاً وآخراً ، ثم لكل من تسبب في دعم هذه الدورة ونظائرها من ألوان الأنشطة التي يتبناها المكتب التعاوني بمحافظة صامطة[١٦٤] ، وهي ولله الحمد أنشطة مستمرة على مدار العام بفضل الله ثم بجهود من يدعم الدعوة مادياً ومعنوياً ، وهذه الدورات تدعم من قبل المؤسسة ؛ مؤسسة الأميرة العنود[١٦٥] – رحمها الله – ووفق القائمين عليها لكل خير ؛ يدعمونها بسخاء واحتساب وبدون إلحاح في الطلب، وهذا أمر يؤجرون عليه ويشكرون عليه ، فنشكرهم على ذلك ونسأل الله لهم العون والسداد في كل ما يأتون ويذرون[١٦٦] ، وأشكر أيضاً كل من مد يد العون بدعم الدورة والأنشطة بالمكتب بالكتب والمشورة الطيبة والإعانة ولو بالدعاء للقائمين

---

164 - شكر الشيخ – حفظه الله – لهؤلاء من تمام شكر الله تبارك وتعالى ودليل على اتباعه للسنة النبوية وذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال في الحديث الصحيح :" لا يشكر الله من لا يشكر الناس " رواه أحمد (٩٠١١) وأبو داود (٤٨١١) وصححه الألباني وكذا في الصحيحة (٤١٦) وصحيح الجامع (٧٧١٩) .

والأنشطة التي يقدمها المكتب التعاوني هي تيسير العلم وذلك من خلال إقامة الدروس والدورات العلمية وتوزيع الكتب العلمية النافعة .

165 - مؤسسة الأميرة العنود ؛ نسبة إلى الأميرة العنود بنت عبد العزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود من مواليد مدينة حائل عام ١٣٥١هـ وهي زوجة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ، توفيت عام ١٤١٩هـ عن عمر يناهز ٦٨ عاماً .

166 - يذرون : أي يتركون .

والمتعلمين والمعلمين فهو فضل من الله تبارك وتعالى يؤجر عليه الداعي ويستفيد منه المدعو له بإذن الله .

ولا أنسى ما قام به المكتب التعاوني من الخدمة المتواصلة ليلاً ونهاراً حرصاً على إقامة هذه الدورة لتكون على وجه التمام فإني رأيتهم ينشطون ويتسابقون في خدمة هذا النشاط أكثر من خدمتهم في بيوتهم ولأنفسهم فشكر الله لهم جهودهم وأثابهم عليها وقد رأيتم[١٦٧] ما يقوم به المشرفون على السكن ؛ الذين تركوا خدمات بيوتهم وبذلوا جهودهم في خدمة طلاب العلم وهم يستحقون ذلك[١٦٨] ، ومن خدمهم[١٦٩] فأجره عظيم وهو صادق في دعوته إلى الله عز وجل ومحبته للصالحين من عباد الله .

ولست بناسٍ أن أشكر جميع الطلاب الذين وفدوا إلينا وفي هذا الوقت بالذات الذي لا يعتبر وقت سياحة وإنما وقت الحر والغبار[١٧٠] ، وما أتى بهم من أماكنهم إلا حباً في طلب العلم وإحياء لسنة الرحلة في طلب العلم[١٧١] التي ابتدئها الكبار من أصحاب

---

[167] - أي أيها الحضور للدورة .

[168] - أي أن طلبة العلم يستحقون هذه العناية ، وهذا حق فليت الأغنياء من المسلمين أن يوجهوا أموالهم لخدمة العلم الشرعي فيساعدوا طلبة العلم فيما لا يقدرون عليه فإن طالب العلم يحتاج إلى أشياء كثيرة وهو في طريق العلم ؛ وما معه من مال ينفد لكثرة متطلباته ، ولو أن أغنيائنا كفلوا طلبة العلم الأقوياء المشهود لهم بالقوة العلمية والمنهجية لخرج لنا جم غفير من العلماء الأقوياء .

[169] - أي من خدم طلاب العلم .

[170] - وذلك لأن الدورة تكون في الإجازة الصيفية ، والصيف معروف بحرِّه الشديد فمن قطع المسافات وجاء لحضور الدورة فقد قاوم الحر وغبار السفر إذ السفر قطعة من العذاب كما ورد في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – :« السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ » رواه البخاري (١٨٠٤) ومسلم (١٩٢٧) .

[171] - وذلك لأن من أحب شيئاً هانت عليه نفسه للوصول إليه ولو كلفه الصعاب ، فمن قطع المفاوز وركب الصعاب ليحقق الهدف الذي يسعى إليه – ويا له من هدف عظيم ومقصد نبيل – كان دليلاً على حبه للعلم .

النبي – صلى الله عليه وسلم – كما لا يخفاكم ؛ كان الواحد منهم إذا سمع أن فلاناً يحفظ من الأحاديث ما لا يحفظه في بلد بعيدة اشترى مركباً ووفر الزاد وارتحل من أجل أن يسمع ولو حديثاً واحداً يضمه إلى ما عنده[١٧٢] .

فالرحلة ؛ مشروعية الرحلة أصيلة ، أساسها ما قام به أولئك الفضلاء صفوة الأمة أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – من المهاجرين والأنصار الذين حملوا العلم عن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – كاملاً موفوراً حتى وصل إلينا في هذا الزمن وإلى ما شاء الله أن يكون[١٧٣] .

فمن رحل في طلب العلم في هذا الزمن فله أسوة في أئمة العلم وعلى رأسهم الرسل والأنبياء[١٧٤] الذين تلقوا العلم عن الله ونشروه لعباد الله ، ثم من حملوا العلم عنهم وهكذا من حمل العلم عن العلماء ؛ لأن العلم ميراث يرثه اللاحق عن السابق وفي هذا حديث المصطفى – عليه الصلاة والسلام – :" إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به ، فقد أخذ بحظ وافر "[١٧٥] ،

---

172 - لمن رام معرفة المزيد عن الرحلة في طلب العلم فليرجع لكتاب (الرحلة في طلب الحديث) للخطيب البغدادي فإنه كتاب جيد في ذلك أودع فيه أمثلة كثيرة للصحابة – رضي الله عنه – وغيرهم من أهل العلم ، ويراجع كذلك كتاب العلم من كتب الصحاح والسنن فقد ضمنه أصحابها باب الرحلة في الطلب .

173 - فلم يفقد شيء من أحكام الشريعة الإسلامية لأن الله تعالى تولى حفظ كتابه فقال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وحفظ القرآن يستلزم حفظ السنة لأنها المبينة لأحكامه كما قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

174 - كرحلة موسى مع الخضر عليهما السلام .

175 - صحيح : رواه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وغيرهم من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يقول :" من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ

ومن فاته العلم فلا حظ له في الحياة الطيبة المباركة لا في الدنيا ولا في الآخـــرة[١٧٦] ، من فاته العلم لا سيما فرض العين من العلم فقد أضاع نصيبه وقصر في هذا المـــيراث الثمين الذي يحبه من شرح الله صدره للخير بحذافيره[١٧٧] .

فأشكر الجميع الذين أتوا من أقطار بعيدة ولم يأت بهم إلا الحرص على طلب العلم وإن شاء الله النية الصالحة في العمل به ونشره إذ أن العلم يطلب لهذه المقاصـــد الـــشريفة إزاحة الجهل عن النفس ، والعمل بالعلم ، ونشره ، والصبر على الأذى الذي المـــتعلم والعامل والداعي .

وإن كان لي من كلمة أختم بها هذه الدورة المباركة التي تعتبر حلية للأنشطة في المكتب التعاوني بمحافظة صامطة ؛ فأوصي نفسي وأوصيكم جميعاً بمـــا يجـــب التواصـــي بـــه وأرشدنا به نبي الرحمة – عليه الصلاة والسلام – من ذلك قولـــه – عليـــه الـــصلاة

بحظ وافر ". وصححه الألباني في المواضع السابقة وفي صـــحيح الجـــامع (٦٢٩٧) وقـــال في المشكاة (٢١٢): حسن . وقال فـــي صحيح الترغيب والترهيب (٧٠): حسن لغيره .

176 - ولله در القائل :

ومن لم يذق مر التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته

ومن فاته التعلم وقت شبابه فكـــبر عليه أربعاً لـــوفاته

وأما كونه لا حظ له في الدنيا فلأنه يعيش على جهل ولا يعبد الله على بصيرة فهو متخبط يصيب مرة ويخطئ أخرى ؛ وأما كونه لا حظ له في الآخرة فلأجل تخبطه في الدنيا وما سبق ذكره قـــد يكون سبباً لاستحقاقه العقاب يوم القيامة إن لم تدركه رحمة الله تبارك وتعالى ، أو قد يكـــون لا حظ له في تحصيل المكانة العالية في الجنة فإنه لا يستوي رجل عامي جاهل ورجل عالم فلا ســـواء البتة .

177 - وذلك لأنه على قدر تعلمه على قدر أخذه من ميراث النبي – صلى الله عليه وســـلم – والسعيد من طلب المزيد ، ومن رضي بالدون فليبك على نفسه ؛ وعلى قدر أولي العـــزم تـــأتي العزائم وقد صدق القائل (بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى) وقول بعض الشعراء :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وقول :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

والسلام – :" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب ، والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل "[178] وصايا[179] من أخذ بها ظفر برضا الله وجنته التي أعدها لأوليائه ؛ ونجا من النار والعياذ بالله منها ، فينبغي أن ندرس هذا الحديث وأمثاله ونطبقه تطبيقاً عملياً في أنفسنا ودعوة لغيرنا ، المسلم الحقيقي من سلم المسلمون من لسانه ويده .

وخطر اللسان معلوم لكل عاقل ، وكان السلف الصالح يهتمون بحفظ ألسنتهم ويخافون من فلتات اللسان ، وقبل ذلك وصية النبي – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ وهي وصية للأمة كلها ، وصاه بأحكام وأوامر ونواهي[180] ثم قال له :" ألا أدلك على ملاك ذلك كله ، قال : بلى ، فأخذ بلسان نفسه وقال :" كُفَّ عليك هذا " قال : أو إنا مؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله ؟ قال :" ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم "[181]. فلتات

---

178 - صحيح : رواه أحمد (٢٤٠١٣) وصححه الألباني في تحقيقه على كتاب الإيمان لابن تيمية (ص : ٩) وقد روى شطره الأول الإمام البخاري في صحيحه (١٠) ومسلم (٦٥) .

179 - أي هذه الوصايا الواردة في الحديث .

180 - وهو قوله – صلى الله عليه وسلم – :« لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ » ثُمَّ قَالَ :« أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ » قَالَ : ثُمَّ تَلَا ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ ثُمَّ قَالَ :« أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ »؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ :« رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ » ثُمَّ قَالَ :« أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ »؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ :« كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا » .

181 - صحيح : رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٥٦١) وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٣٠٣) وأحمد (٢٢٠١٦) والترمذي (٢٦١٦) والنسائي في الكبرى (١١٣٣٠) وابن ماجه (٣٩٧٣) والبزار (٢٦٤٣) والطبراني في الكبير (٢٠/ ١١٦، ١٣٧ومواضع

اللسان بدون حساب لذا كان السلف يقول بعضهم لبعض : ما رأيت شيئاً أحق بالسجن من اللسان[١٨٢] ، لذا وجب على كل مكلف من المسلمين والمسلمات أن يراعي اللسان إذا تكلم ماذا يريد أن يتكلم به ؛ إن كان خيراً أمضى ، وإن كان شراً سكت ، وإن كان مباحاً تدعو الحاجة إليه فلا حرج في ذلك[١٨٣] ، وهو دليل على يسر الدين وسهولته وعظمة شأنه وأنه دين الرحمة ، يتحدث الناس في قضاء حوائجهم وفيما أبيح لهم[١٨٤] ، ولكن المكسب إذا انطلق اللسان في ذكر الله وما والاه ، وذكر

أخرى) وفي مسند الشاميين (٢٩٣٨) والحاكم (٣٥٤٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ؛ ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في الصحيحة (٤١٢) وصحيح الجامع (٥١٣٦) والإرواء (٤١٣) .

182 - نعم صحيح هذا الكلام لأن اللسان قد يورد صاحب المهالك ؛ فجدير بالعاقل ألا يتكلم إلا بما يرضي ربه سبحانه وتعالى فينظر فيما يريد التكلم به فإن كان حقاً وصواباً تكلم وإلا أمسك عن الكلام ، فإن الكلام بلا ضابط ولا رابط وبال على صاحبه وقد يعرضه ذلك لسخط الله تبارك وتعالى كما جاء في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا ، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ » . رواه البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨) ، فكم من رجل يقع في الغيبة والنميمة ولا يلقي لذلك بالاً ؟! وكم من رجل يقع في الكذب الصريح بحجة أنه يهزل ولا يلقي لذلك بالاً أيضاً ؟! والغيبة والنميمة والكذب من الكبائر التي تورد صاحبها المهالك ، فنسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة .

183 - ولله در القائل :

احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

184 - هذا هو المعنى الصحيح لليسرية ؛ أنها في حدود ما أحله الله ، وليس كما يزعم البعض من الجهَّال والذين ضلَّ سعيهم ؛ من المناداة بيسرية الدين ويريدون بذلك عدم اعتراض أحد عليهم بأن ما يفعلونه محرم شرعاً فهم يقصدون باليسرية (حرية) ويريدونها حرية بلا ضابط ولا رابط ؛ يفعل المرء ما يشاء ويشتهي ! ولا شك أن هذا ضلال مبين وبعد عن الطريق المستقيم ؛ نسأل الله السلامة والعافية .

الله لفظ عام يتناول الذكر المفروض والواجب والمستحب كل ذلك يؤجر عليه الإنسان[١٨٥] .

فيجب مراقبة اللسان مراقبة شديدة مستمرة ليس لها حد ولا منتهى حتى تلتف الساق بالساق ويوصي بعضنا بعضاً بذلك ؛ الأسرة والقرابة ، والقريب والبعيد ، فطالب العلم مثل الغيث أينما حل نفع الناس[١٨٦] .

وكذلك المسلم من سلم الناس من يده[١٨٧] ، فلا يبطش بها حراماً ، ولا يمدها إلى حرام ، ولا يسفك بها دماً محرماً ، وإنما يستعملها فيما أبيح له ، وفيما فرض عليه وفيما وجب عليه ، وفيما استحب له ، ويكفها عما حرم الله عز وجل ؛ عن أموال الناس ، ودماء الناس ، وعما يضر به نفسه أو يضر به غيره[١٨٨] .

وحقيقة المؤمن كما في الوصية الثانية ، حقيقة المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم ودمائهم وأموالهم ، فالمؤمن ليس من أهل الاعتداء على الغير ولو كان كافراً لا يجوز عليه الاعتداء والإساءة التي لم يأذن فيها الشرع ، وتعرفون أحكام أهل الذمة كما درستم في كتاب الجهاد[١٨٩] ، وكيف جاءت الوصايا بهم بعدم الإيذاء لهم وأخذ

---

185 - فحري بالمسلم أن يغتنم الوقت في ذكر الله تبارك وتعالى بكل أنواعه وصوره فيحافظ على تلاوة القرآن والأذكار المطلقة والمقيدة ويأتي بها على الكيفية الثابتة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحابته – رضي الله عنهم – حتى تكون عبادته مقبولة عند الله ، وأما من ضيَّع الأوقات في الملذات والشهوات فقد استحق عقاب ربِّ الأرض والسماوات .

186 - وذلك لأنه إما أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر .

187 - أي يسلمون من أذى يده .

188 - لا شك أن المسلم مطالب بأن لا يؤذي أخاه المسلم سواء بيده أو غيرها ؛ بل يستعمل يده فيما أمره الله به وما أحله له ويبتعد عن ملابسة المعصية ، فإن اليد نعمة من نعم الله تعالى العظيمة ولا يليق البتة أن يلابس المرء معصية الله بنعمته ، فهذا فضلاً عن كونه محرماً فهو منافي الشكر أيضاً ، لأن نعم الله على العبد تقابل بالشكر وليس بالمعصية .

189 - أي وتعرفون أيها الطلاب أحكام أهل الذمة كما درستم في كتاب الجهاد من أخصر المختصرات ؛ فإنه كان مقرراً عليهم دراسته في هذه الدورة وقد قام شيخنا زيد – حفظه الله –

أموالهم أو انتهاك أعراضهم[١٩٠] ، كل ذلك لا يجوز ؛ وهم كفار أعداء الله[١٩١] ، وهذه من مزايا الإسلام العظيمة ، الرحمة والعدل ، فالمؤمن مأمون على الدماء ، ومأمون على الأموال فلا يمد يده إلى أحد بسفك دمه لأنه محاسب على ذلك[١٩٢] ، وقد ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن العبد يحاسب على إيذاء الغير ولو

بشرحه . وقد يكون المعنى أوسع من ذلك فيكون : وتعرفون ذلك من خلال دراستكم ومطالعتكم .

190 - من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه (٣١٦٦) عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا » . وروى أبو داود في سننه (٣٠٥٢) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » وصححه الألباني . وغير ذلك من الأدلة .

191 - أي ومع ذلك لا يعتدي المسلم عليهم ولا يظلمهم ولا يبخسهم حقاً لهم ، وإنما يبغضهم لكفرهم من غير ظلم لهم ، ولا شك أن هذا من سماحة الشريعة الإسلامية .

تنبيه : بعض الناس يتعامل مع الكفار معاملة حميمة بكل حب وود من غير كره وبغض ولا شك أن هذا فيه تضييع للولاء والبراء ، وأشد جرماً من ذلك من تعامل معهم على أننا سواء وأننا إخوة في الإنسانية والمواطنة ! فهذا على خطر شديد ، فحري بامرئ هذا حاله أن يتقي الله تعالى وأن يحافظ على عقيدته وأن يعلم كفر هؤلاء وأن الإسلام رخَّص له فقط في التعامل معهم على قدر الحاجة والمطلوب ولم يرخص له في حبهم بل أمره ببغضهم وكرههم من غير ظلم لهم .

192 - الأدلة الواردة في الشريعة الإسلامية على حرمة الدماء كثيرة ؛ منها قوله تعالى :﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ وفي الحديث المتفق عليه أن النبي – صلى الله عليه وسلم –:" لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدين المفارق للجماعة " البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦) . وفي صحيح مسلم (١٢١٨) :« إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا . وفي سنن أبي داود (٤٢٧٠) :" لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم " وصححه الألباني . وغير ذلك من الأدلة .

باللطمة اليسيرة كما في حديث عبد الله بن أنيس[١٩٣] ، حتى اللطمة يجازى بها لأن حقوق الناس لا تسقط ، ديوان لا يترك الله منه شيئاً وهو حقوق العباد بعضهم على بعض ولو كان حقوقاً[١٩٤] للكفار أعداء الله يأخذونها من المسلمين ، فوجب حفظ الأيدي وحفظ اللسان أن تمد إلى ما حرم الله تبارك وتعالى .

والمهاجر : حقيقة المهاجر ؛ هو من هجر الخطايا والذنوب[١٩٥] ، هجرها خوفاً من عقوبة الله عز وجل وإجلالاً لله تبارك وتعالى[١٩٦] ، إن الخطايا والذنوب تغضب الله تعالى ، كل ما حرم الله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ؛ فعلها يغضب الرب تبارك وتعالى ، فأنت تجتنبها إجلالاً لله وتقديراً له لأنه نهى عن ذلك وامتثالاً وخوفاً مما يترتب عليها من العقوبات العاجلة والآجلة .

فلنتواصى[١٩٧] دائماً بهجر ما نهى الله تبارك وتعالى عنه من الأقوال ومن الأفعال الظاهرة والباطنة ، ويوصي بعضنا بعضاً بذلك .

---

193 - رواه أحمد في مسنده (١٦٠٤٢) ولفظه :" يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ : الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا " قَالَ : قُلْنَا : وَمَا بُهْمًا ؟ قَالَ :" لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الدَّيَّانُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ ، حَتَّى اللَّطْمَةُ " قَالَ : قُلْنَا : كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا ؟ قَالَ :" بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ " . ورواه الطبراني في الكبير (١٤٩١٤) والحاكم (٣٦٣٨) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

194 - في الأصل قال شيخنا : (حقوق) بالتسكين والصواب عند التحرير ما أثبته .

195 - قال شيخنا – حفظه الله – ذلك لأن المشهور عند الناس أن المهاجر من ترك بلده إلى بلد أخرى ، ولا شك أن هجر المعاصي هو المطلوب وذلك لأن من لابس المعاصي وهو مقيم في بلده أو مهاجر فلا خير في إقامته ولا هجرته ، فالهجرة الحقيقية أن يهجر المرء ما حرمه الله عليه .

196 - هذا هو الذي ينبغي أن يكون الترك لله وتعظيماً لنهيه فإنه متى فعل ذلك أثابه الله تعالى الأجر الوفير ، وأما من ترك المعصية خوفاً من الناس فهذا لا أجر له .

197 - أي يوصي بعضنا بعضاً .

والمجاهد : من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل ، حقيقة المجاهد في الشرع أن يبدأ بجهاد نفسه[١٩٨] ، ومن الجهاد بذل الجهود في طلب العلم لأن بالعلم[١٩٩] يبصر الإنسان الطريق الصحيح من الطرق المخالفة للخط الصحيح والصراط المستقيم كما أخبرنا الله عز وجل عن ذلك ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾[٢٠٠] والصراط[٢٠١] كتاب الله وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – جملة وتفصيلاً[٢٠٢] .

فيجاهد العبد نفسه ليكون فقيهاً في دين الله فينفع نفسه وينفع غيره وذلك أشرف الجهاد[٢٠٣] ، أن تتعلم العلم وتعمل به وتدعو إليه وتنشره في أرض الله ، وذلك في

---

198 - نعم هذا حق ؛ وأما ما يروى وينتشر على ألسنة كثير من الناس من أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لما رجع مرة من بعض الغزوات :" رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو مجاهدة النفس " فهو حديث ضعيف لا يصح ؛ وقد حكم عليه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة بالنكارة فقال : (٢٤٦٠) منكر .

199 - قال شيخنا : أولاً بطلب العلم ثم رجع فقال بالعلم .

200 - (سورة الأنعام آية : ١٥٣) .

201 - أي المراد بالصراط الذي أمر المؤمن باتباعه في هذه الآية ؛ هو : كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – بفهم السلف الصالح .

202 - وقد ورد هذا المعنى في حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال :" خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: " هَذَا سَبِيلُ اللهِ "، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ "، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾" رواه أحمد (٤١٤٢ ، ٤٤٣٧) وصححه الشيخ أحمد شاكر ، ورواه كذلك جمع من أهل العلم .

203 - هذا أمر مطلوب لأن العلم ليس سهلاً كما يظن البعض والنفس بطبيعة الحال تهوى الراحة لذلك يحتاج الصادق في طلب العلم إلى مجاهدة نفسه ليتخلص من كسلها الذي يعيقه عن الوصول للمطلوب ، فإذا وصل الصادق للمطلوب وجد حلاوة ذلك في قلبه فالناس ينظرون إلى فعل الطالب أنه تعب ونصب وهو يستلذ بذلك ويجد راحته في ذلك ومن جرب عرف ، ومن ذاق طعم ذلك طلب المزيد نسأل الله التوفيق والسداد والهداية لسبيل الرشاد . ومعلوم أن العلم الشرعي يدفع صاحبه لعبادة الله عز وجل وبطبيعة الحال فإن الطاعة ثقيلة على البدن لذلك يهوى

ذات الله إجلالاً لله ورغبة فيما رغب الله فيه ورغب فيه رسوله – عليه الصلاة والسلام – وذلك في كل عمل من أعمال البر والصلاح والفلاح التي ترضي الله تبارك وتعالى وتقرب العبد إلى ربه زلفى كما قال المولى الكريم ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾[٢٠٤] .

فهذا ما أحببت أن أذكر نفسي وأذكركم جميعاً به[٢٠٥] وبحول الله عز وجل إذا انصرفنا كل يبذل جهده في نشر ما علم ، مراعياً الحكمة والتأني في الأمور[٢٠٦] والله

البدن الراحة فطالب العلم الشرعي في صراع ومجاهدة مع نفسه حتى يكبح جماحها عن المعصية ويقبل على طاعة الله تعالى .

[204] - (سورة سبأ آية : ٣٧) .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٢٢) : (أي: ليست هذه دليلا على محبتنا لكم، ولا اعتنائنا بكم . قال الإمام أحمد – رحمه الله –: حدثنا كَثير حدثنا جعفر حدثنا يزيد بن الأصم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:" إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ". ورواه مسلم وابن ماجة من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن بُرْقَان ؛ به . ولهذا قال :﴿ إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي : إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي : تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ أي : في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ، ومن كل شر يُحْذَر منه .)اهـ

[205] - إن ما فعله شيخنا زيد – حفظه الله – تجاه الحضور وغيرهم من المؤمنين إنما هو انطلاق من قول النبي – صلى الله عليه وسلم – :" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " رواه البخاري (١٣) ومسلم (٧٠) وأجمع ما قيل في معناه :" لا يكون أحدكم كامل الإيمان حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه . وقد ورد هذا المعنى في رواية عند النسائي (٥٠١٧) بسنده عن أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :" والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير " وصححه الألباني .

عز وجل يفتح من العلم إذا أتى الإنسان بأسبابه ونوى النية الصالحة في ذلك وأخلص لله بالعمل **إذْ العمل لا يقبل من العبد إلا بشرطين :**

وقد بدأ شيخنا بنفسه لأن هذا هو المطلوب فإن المرء يطلب العلم بالدرجة الأولى ليخلص نفسه من الجهل وينجو من عذاب الله تعالى ؛ ومن ثم يعلم الناس ويصحح لهم عقائدهم وفق المنهج الصحيح بالدرجة الثانية ؛ وهذا من ثمرات الإخلاص في طلب العلم .

206 - وذلك لقول الله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال الشيخ السعدي في تفسيره : (أي : ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح ﴿ بِالْحِكْمَةِ ﴾ أي : كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده . ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم ، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم ، وبما يكون قبوله أتم ، وبالرفق واللين ، فإن انقاد بالحكمة ، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة ، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب . إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به . وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل ، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق . أو كان داعيه إلى الباطل ، فيجادل بالتي هي أحسن ، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً . ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها.)اهـ

والتأني هو التروي في الأمور فلا ينبغي أن يكون المرء مندفعاً بغير حكمة ولا بصيرة لأن هذا قد يفتح عليه أبواب شر كثيرة فالرفق أمر مطلوب ومرغب فيه من ذلك ما ورد في الحديث المتفق عليه عن عائشة – رضي الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه » رواه البخاري (٦٠٢٤ ، ٦٢٥٦) ومسلم (٢١٦٥) .

وروى مسلم في صحيحه (٢٥٩٣) عن عائشة – رضي الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :« يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » . وروى أيضاً (٢٥٩٤) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :« إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » وغير ذلك من الأحاديث التي دلّت على منزلة الرفق وأهميته .

الشرط الأول : الصواب ، وهو يتجلى في المتابعة ؛ متابعة النبي – صلى الله عليه وسلم – [٢٠٧].

والشرط الثاني : الإخلاص[٢٠٨] ، وذلك أن يبتغي العامل بعمله وجه الله والدار الآخرة .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

õ õ õ

---

207 - المتابعة معناها السير على ما كان عليه فيأتي المسلم في أمور العبادة بالكيفية التي كان يفعلها النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا يبتدع في دين الله ما ليس منه لأنه متى فعل ذلك فإن بدعته ترد عليه ولا تقبل منه ؛ وذلك لما ورد في الحديث المتفق عليه عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " أي من أحدث في الإسلام ما ليس منه مما لم يفعله النبي – صلى الله عليه وسلم – فأمره الذي أحدثه مردود عليه ولا يقبل منه .

208 - وذلك لقوله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ ولما ورد في الحديث المتفق عليه عن عمر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ..." الحديث . رواه البخاري (١ ، ٥٤ ، ٢٥٢٩ ، ٣٨٩٨ ، ٥٠٧٠ ، ٦٦٨٩ ، ٦٩٥٣) ومسلم (١٩٠٧) .

تفسير قوله تعالى

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ)

لفضيلة الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالى

وقد كان هذا درس الافتتاحية للدورة القرعاوية لعام ١٤٣٣هـ

قام على تحقيقه والتعليق عليه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فيسرني أن أقدم للقراء الألباء في كل مكان تفسيراً لقوله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ لفضيلة شيخنا العلامة الفقيه / زيد بن محمد بن هادي المدخلي – حفظه الله – والذي كان في درس افتتاحية الدورة القرعاوية يوم الجمعة الموافق ٢٥/ ٧/ ١٤٣٣هـ وقد أكرمني ربي جل وعلا بحضور الدرس مباشرة عن طريق غرفة دروس الشيخ على برنامج البيالوكس عبر شبكة الإنترنت فإنني أحد مشرفيها ، وبما أنني أُقَدِّر شيخنا الجليل وأُقَدِّر ما يخرج منه من علم غير متعصب له ولا غال فيه ؛ حرصت على تفريغ هذا الدرس فكنت أفرغ مباشرة أثناء تكلم الشيخ به ، وكنت إذا فاتني شيء أترك مسافة لأنتبه بأن هناك نقصاً ثم قمت بعد ذلك بمراجعة التفريغ وإكمال ما به من نقص عن طريق التسجيل ، ثم قمت بالعمل على تحقيق كلمة شيخنا وإعدادها للنشر لتخرج بصورة يرتضيها الشيخ إن شاء الله عند رؤيته لها وكذلك بقية المسلمين ؛ فعزوت الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآية ، وخرجت أحاديثها مع ذكر مرتبة كل حديث من حيث الصحة والضعف ، وعلقت بما أراه نافعاً ومفيداً ، والله أسأل أن ينفع بها محققها وشيخنا الحبيب وجميع المسلمين في كل مكان وزمان ، هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

السبت : ٣ / شعبان / ١٤٣٣هـ

تفسير قوله تعالى

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ؛ اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ،،، أما بعد :

فقد سمعتم من مدير المكتب التعاوني الشيخ محمد بن زيد المدخلي[٢٠٩] الشرح المفصل المختصر[٢١٠] عن أنشطة المكتب والدعوة إلى الله عز وجل الذي وضع من أجل القيام بها والعناية وضع هذا المكتب بل وغيره من المرافق التي ينشر فيها العلم بطريقة رسمية وبطريقة تعاونية وهي متضافرة[٢١١] بعضها يشد بعضاً ويأخذ ببعض ، فإن كان لي من إضافة فإنني أولاً : أهنئ القائمين على الدعوة في المكتب التعاوني للتوعية والإرشاد في محافظة صامطة المدير والأعضاء ومن معهم من طلاب العلم المتعاونين في متابعة الأنشطة والقيام بالخدمة لضيوف المكتب أهنئهم وأسأل الله أن يكتب لنا ولهم الأجر الوفير والخير الكثير فإنهم محتسبون جميعاً فقد بذلوا جهوداً يشكرون عليها[٢١٢] وأجرهم في

---

209 - هو ابن شيخنا – حفظه الله – فقد قام بإلقاء كلمة مختصرة قبل والده الكريم تقع في نحو عشر دقائق تقريباً تحدث فيها عن الدورات القرعاوية وأهميتها وفائدتها .

210 - أي الشرح الواضح وفي نفس الوقت مختصراً لم يطنب فيه وهذا من الفصاحة في القول .

211 - أي متعاونة .

212 - شكر الناس على ما يبذلون من خير وأعمال طيبة ؛ هو من شكر الله تعالى ؛ وذلك لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الصحيح :" لا يشكر الله من لا يشكر الناس " رواه أحمد (٩٠١١) وأبو داود (٤٨١١) وصححه الألباني وكذا في الصحيحة (٤١٦) وصحيح الجامع (٧٧١٩) ورواه الترمذي (١٩٥٤) بلفظ (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) وصححه الألباني ؛ ورواه أيضاً بلفظ آخر (١٩٥٥) : (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) وقال الألباني : صحيح بما قبله . ولا شك أن هذه صفة طيبة من صفات أهل الخير والصلاح .

القيام بها على الله تبارك وتعالى ، وأشكر القائمين بالقيام على الدورات في القرى[٢١٣]؛ والقرى أصبحت مدن[٢١٤] بالدروس والتوجيهات للناس وترغيبهم في العلم ، تحذيرهم من الجهل وليس هذا مقصوراً على الدورة المحدودة بزمن[٢١٥] وإنما الكثير على سبيل الاستمرار ينشرون العلم ويدرسون في المساجد ويعقدون المحاضرات والندوات بقدر ما يستطيعون وهذه الحقيقة رسالة طالب العلم أن يسعى في تحصيل العلم لنفسه وينشر العلم أولاً بأول[٢١٦] ويزداد من العلم ويخطط التخطيط السليم الزمني للاستفادة والإفادة[٢١٧] فما يتعلم العلم إلا لإزالة الجهل والعمل به بالعلم ودعوة الناس إليه واعتباره من أجمل العبادات وأفضل العبادات التي يتقرب بها المسلم

213 - القرى جمع قرية ، والقرية هي مكان يتجمع الناس يتكون من عدة عائلات أو قبائل ، وقيل أن عددهم ما بين المئة والعشرة آلاف ؛ والله أعلم .

214 - كذا قال والصواب : مدناً .

215 - كما هو الشأن مع الدورة القرعاوية تكون مرة واحدة في العام ؛ ولكن الدروس تظل مستمرة طيلة أيام العام .

216 - وهذا من ثمرات العلم النافع أن يطلب المرء العلم فيعمل به ويعلم غيره ليرفع بذلك الجهل عن نفسه وعن غيره من المسلمين كما قال الإمام أحمد : (العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته) ويذكر عنه أنه قيل له : (وكيف تصح النية يا أبا عبد الله ؟ فقال : ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره) .

217 - وذلك بالتدرج في طلب العلم بأن يقرأ شيئاً فشيئاً فيأخذ من كل علم أصوله ولا ينتقل من مرحلة حتى ينتهي من المرحلة التي قبلها ولذلك قال بعض السلف (من رام العلم جملة ذهب عنه جملة) وقال بعض الشعراء :

قدِّر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرة زلجا

فإذا ما خطط طالب العلم التخطيط السليم وتدرج في الطلب فإنه يستفيد فائدة قصوى من حيث اغتنام الوقت واختصار الجهد ؛ حيث إنه إذا لم يتدرج في الطلب فإنه يضيع وقته وجهده .

وأما من حيث التصدر لتعليم الناس فينبغي لطالب العلم أن يحرص أولاً أن يعد نفسه إعداداً جيداً حتى يكون متمكناً وبصيراً بعقيدة السلف وعلوم الشريعة وشبه المغرضين من أهل البدع والأهواء ودحضها ، ولا ينبغي له أن يتعجل التصدر فإن التصدر قبل إعداد نفسه الإعداد الجيد فيه هلاك نفسه وحرمانه من الخير الكثير الذي كان سيحصله لو استمر في طلب العلم حتى يتمكن ،

واعتباره من أجمل العبادات وأفضل العبادات التي يتقرب بها المسلم والمسلمة إلى الله تبارك وتعالى[٢١٨] .

وأشكر الوافدين الذين رحلوا من أجل طلب العلم وتحصيله بنية صادقة ليعودوا ناشرين للعلم محتسبين الأجر من الله عز وجل[٢١٩] إذ الأجر بالحسبة فمن خرج من داره طالباً للعلم ليعمل به ويدعوا الناس إليه أينما حل وأينما ارتحل فأسوته الرسل الكرام والأنبياء العظام[٢٢٠] ، وما أرسل الله المرسلين إلا ليعلموا الناس أمر دينهم ؛ العقيدة الصحيحة والشعائر التعبدية على الوجه الصحيح والأخلاق والسلوك والتحذير من المخالفات في الأقوال والأفعال والأعمال[٢٢١] لذا قال الله تعالى لنبيه

ولذلك قال بعض السلف (إذا تصدر الحدث فاته علم كثير) وقالوا أيضاً : (من حدث قبل حينه افتضح في حينه) لأنه سيواجه أسئلة وشبهاً ليست عنده جوابها فيفتضح أمره أمام الناس بأنه قليل البضاعة ، وقد تأخذه العزة بالإثم فيستحيي من أن يسأل ولا يجيب فيجيب بغير علم فيضل ويضل عياذاً بالله تعالى ، وقال بعض السلف أيضاً (من تصدر المجالس فإنه يأنف أن يعود للحلقات) لأنه غالباً يستكبر ويستحيي أن يعود طالباً بعد أن صار شيخاً أمام الناس فيرضى بالجهل ويحرم العلم فإن السلف قالوا (لا يتعلم اثنان مستحيي أو مستكبر) .

[218] - وذلك لأن بالعلم الشرعي يصحح العبد عقيدته وعبادته وبدون ذلك يتخبط خبط عشواء على متن عرجاء في ليلة ظلماء في البدع والأهواء فيكون من أهل الضلال عياذاً بالله تعالى .

[219] - الرحلة في طلب العلم سنة السلف الأول والتابعين لهم من أهل العلم ، فجدير بمن قدر على ذلك من طلبة العلم ألا يتوانى عن الرحلة إلى أهل العلم الثقاة الأثبات العدول السائرين على منهج السلف الكرام ، وليبتعد ويحذر الرحلة إلى شيوخ أهل البدع والأهواء فإن هؤلاء يفسدون عليه دينه ودنياه عياذاً بالله .

[220] - الدعوة إلى الله تعالى لها فضل عظيم لذا فقد حث النبي – صلى الله عليه وسلم – عليها في قوله كما في صحيح البخاري (٣٤٦١) :" بلغوا عني ولو آية " ؛ ومن جملة فضائلها قوله في صحيح مسلم (١٨٩٣) :" من دل على خير فله مثل أجر فاعله " .

[221] - قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) ولا شك أن هذا أهم ما يقوم به الداعية إلى الله تبارك وتعالى فيعلم الناس العقيدة الصحيحة ويحذرهم من الشرك ووسائله ؛ ويعلمهم كيفية العبادة الصحيحة فيعلمهم ما يصححون به عقيدتهم

- عليه الصلاة والسلام - ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٢٢٢] أمر الله عز وجل[٢٢٣] نبيه محمداً – صلى

وعبادهم لله تبارك وتعالى ، وكذلك يحذرهم من كل قول وفعل رديء يأثم المرء به . ولا شك أن هذا يحتاج من الداعية أن يعد نفسه أولاً إعداداً جيداً حتى يقوم بهذه المهمة إذ فاقد الشيء لا يعطيه كما هو متقرر عند العقلاء من الناس .

222 - (سورة يوسف آية : ١٠٨) . **ذكر أقوال بعض المفسرين حول هذه الآية الكريمة :**

قال شيخ المفسرين ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٢٩١) طبعة دار الرسالة : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هَذِهِ ﴾ الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاء إلى طاعته ، وترك معصيته ﴿ سَبِيلِي ﴾ وطريقتي ودعوتي ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ وحده لا شريك له ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ بذلك ، ويقين علمٍ مني به ﴿ أَنَا ﴾ ويدعو إليه على بصيرة أيضًا ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ وصدقني وآمن بي ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ يقول له تعالى ذكره : وقل : تنزيهًا لله وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يقول : وأنا بريءٌ من أهل الشرك به ، لست منهم ولا هم منّي.)اهـ

وقال البغوي في تفسيره (٤/ ٢٨٤) طبعة دار طيبة : (﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هَذِهِ ﴾ الدعوة التي أدعُو إليها والطريقة التي أنا عليها ﴿ سَبِيلِي ﴾ سُنَّتي ومنهاجي. وقال مقاتل: ديني، نظيره قوله: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ أي : إلى دينه ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ على يقين . والبصيرة : هي المعرفة التي تُمَيِّزُ بها بين الحق والباطل ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ أي : ومن آمن بي وصدقني أيضاً يدعو إلى الله . هذا قول الكلبي وابن زيد ، قالوا : حقٌّ على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه ، ويذكِّر بالقرآن . وقيل: تَمَّ الكلام عند قوله ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ ثم استأنف ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ يقول : إني على بصيرة من ربي وكل من اتبعني . قال ابن عباس : يعني أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية ، معدن العلم ، وكنز الإيمان وجند الرحمن .)اهـ

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤ / ٤٢٢) طبعة دار طيبة : (يقول الله تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين : الإنس والجن ، آمراً له أن يخبر الناس : أن هذه سبيله ، أي طريقه ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بَصِيرة من ذلك ، ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه ، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله – صلى الله عليه

الله عليه وسلم – أن يقول للأمة جمعاء ؛ قل يا محمد للناس بل لعالم الإنس والجن[٢٢٤] ﴿هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ أي طلب العلم والاستماع لـه[٢٢٥] والعمـل بـه[٢٢٦] ونـشره في

وسلم – على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي . وقـوله ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ أي : وأنزه الله وأجله وأعظمه وأقدسه ، عن أن يكون له شريك أو نظير ، أو عديل أو نديد ، أو ولد أو والد أو صاحبة ، أو وزير أو مشير ، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه عن ذلك كله علواً كبيراً)اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره (صفحة : ٤٦٠ - ٤٦١) طبعة دار ابن الجوزي : (يقول تعالى لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ﴿ قُلْ ﴾ للناس ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ أي : طريقي التي أدعو إليها ، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته ، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره ، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ أي : أحثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم ، وأرغِّبهم في ذلك وأرهِّبهم مما يبعدهم عنه ، ومع هذا فأنا ﴿ عَلَى بَـصِيرَةٍ ﴾ من ديني ، أي : على علم ويقين من غـير شك ولا امتراء ولا مرية . وكذلك ﴿ مَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره . ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ عما نسب إليه ممـا لا يليـق بجـلاله أو ينافي كماله ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ في جميع أمـوري ، بل أعبد الله مخلـصاً لـه الدين)اهـ

وقال الشيخ الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان (٢/ ٢٠٦) طبعة دار عالم الفوائد : (فـدل على أن الداعي إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة ، وهي الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه ، وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة ، وحسن الأسلوب ، واللطافة مع إيضاح الحـق . لقوله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ الآية ، فإن كانت دعوتـه إلى الله بقسوة وعنف وخرق ، فإنها تضر أكثر مما تنفع ، فلا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسـناداً مطلقاً إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس ؛ لأن الأمر بالمعروف وظيفة الرسل وأتباعهم وهو مستلزم للأذى من الناس ؛ لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهـم في أهوائهم الفاسدة ، وأغراضهم الباطلة)اهـ

223 - أي في هذه الآية الكريمة .

224 - لأن رسالته عامة لجميع الثقلين الجن والإنس .

225 - وذلك عن طريق العلماء الثقاة الأثبات كما تقدم وليس أهل البدع والأهواء فإن أهـل البدع والأهواء لا يستمع لهم ولا كرامة ولا تقرأ كتبهم ولا تشترى ولا تقـتنى لأنهـم يبثـون أفكارهم الباطلة فيها . فمن رام الحق اجتنب ذلك وعض بالنواجذ على علماء السلف وكتـب

الناس[٢٢٧] ، إذ لا حياة طيبة مباركة إلا في ظل العلم الشرعي[٢٢٨] لا حياة للمكلفين من عالم الإنس والجن إلا أن يكونوا عالمين بما أنزل الله عز وجل من أصول هذا الدين وفروعه وحقوقه وعاملين به مغتبطين بذلك وناشرين له لأن هذا العمل هو التأسي بالرسل والأنبياء الذين بعثهم الله معلمين مبشرين ومنذرين كما أخبر الله عز وجل عنهم بذلك ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [٢٢٩] وانتهت الرسالات وختمت برسالة محمد – صلى الله عليه وسلم –[٢٣٠] ومن

السلف فإن الخير فيهم وفيما كتبوا ، ولم يتركوا شيئاً حتى تكون الحاجة لأهل البدع ! وإنما المصيبة في ضعف الهمم وخساستها ، وصدق القائل :

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

226 - لأن هذا هو الغاية من العلم فإنه وسيلة يتبلغ بها للعمل ، ولذلك قال بعض السلف (العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل) اهـ

227 - نشر العلم بين الناس من علامة صحة طلبه كما تقدم عن الإمام أحمد أنه قال (العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته . قالوا وكيف تصح النية يا أبا عبد الله ؟ قال ينوي رفع الجهل عن نفسه وغيره من الناس)اهـ

228 - نعم صحيح ؛ العلم الشرعي هو حياة المؤمن وبدونه فالمرء يعتبر فاقداً للحياة ، ولله در القائل :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

فمن لم يطلب العلم ويتفقه فيه فهو كالأموات لا فائدة من حياته ويعيش متخبطاً هنا وهناك لأنه لا يهتدي للحق الذي ينبغي أن يسير عليه .

229 - (سورة النساء آية : ١٦٥) .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢ / ٤٧٥) : (أي : أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة ، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ وكذا قوله تعالى ﴿ وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود - رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" لا أحد أغير من الله ، من

بقي لهذا العلم بقي لحفظ العلم ونشره طلاب العلم الذين يطلبونه ويعتبرونه من أهم أعمالهم التي يحرصون على إنجازها لما فيها من التأسي بالرسل[٢٣١] والصالحين من الدعاة إلى الله عز وجل في كل زمان ومكان ، فبقي أهل العلم الذين هم ورثة لما أنزله الله عز وجل على محمد – صلى الله عليه وسلم – ذكر الله عز وجل ذلك في القرآن الكريم وذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك في السنة المطهرة قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[٢٣٢] فهذه الثلاثة الأقسام هم ورثة الكتاب العزيز ؛ الفرقان من فاتحته إلى خاتمته فمن حرص على أخذ حظه ونصيبه من هذا الميراث السمين فاز وسعد وأحياه الله حياة طيبة في الدنيا والبرزخ والآخرة ، ومن أضاع نصيبه وحظه وأخذ يلهث وراء حطام الدنيا جاهلاً بأمر دينه فلا يلومن إلا

أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، من أجل ذلك مدح نفسه ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين " وفي لفظ :" من أجل ذلك أرسل رسله ، وأنزل كتبه ")اهـ قلت : أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٦٣٤) ومسلم (٢٧٦٠) .

230 - دل على ذلك قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ وفي الحديث المتفق عليه أنه – صلى الله عليه وسلم – قال :" لا نبي بعدي " رواه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢) .

231 - وعلى رأسهم نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وقد قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ .

232 - (سورة فاطر آية : ٣٢) . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦ / ٥٤٦) : (يقول تعالى : ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم ، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا ، وهم هذه الأمة ، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ وهو : المفرط في فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات ﴿ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾ وهو : المؤدي للواجبات ، التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكروهات . ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وهو : الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات)اهـ

نفسه كما قال الله تعالى في الحديث القدسي :" إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"[٢٣٣] .

وأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – عن العلماء الذين طلبوا العلم وحرصوا على أخذ نصيبهم لأنه ميراثهم بقوله عليه الصلاة والسلام :" إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر "[٢٣٤] وبدون العلم لا يسعد الإنسان لا في دنياه لا في حياته البرزخية ولا الأخروية[٢٣٥] .

والعلم نوعان فرض عين وفرض كفاية ، فالطالب للنوعين هو أفضل من يمشي على وجه الأرض[٢٣٦] ، طلب العلم الواجب الذي هو فرض عين ويكاد ينحصر في مراتب

---

233 - صحيح : رواه مسلم (٢٥٧٧) .

234 - صحيح : رواه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وغيرهم من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يقول :" من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ". وصححه الألباني في المواضع السابقة وفي صحيح الجامع (٦٢٩٧) وقال في المشكاة (٢١٢): حسن. وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠): حسن لغيره .

235 - لأن السعادة تنتج عن طريق السير الصحيح على منهج الحق وبدون العلم الشرعي القائم على منهج السلف فإن المرء يتخبط تخبطاً عجيباً وشديداً ومن ثم يقع في المخالفات والموبقات فلا يسعد في دنياه لتخبطه وعدم شعوره بالطمأنينة وراحة البال ولا يسعد في حياته البرزخية والأخروية لأنه يلاقي ما قدم من موبقات ومهلكات .

236 - أي من سمت همته فطلب النوعين ؛ فرض العين وفرض الكفاية ولم يقتصر على تحصيل العلم الواجب عليه فقط فهو أفضل من يمشي على وجه الأرض ؛ وفي الحديث الصحيح عن أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه – أنه قال : ذكر لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجلان

الدين الإسلامي الثلاثة الإسلام بأركانه الخمسة والإيمان بأركانه الستة والإحسان بركنه العظيم[٢٣٧] وما اقتضته هذه المراتب الثلاث من العلم المفصل الذي لا يستغني عنه مكلف لا من عالم الإنس ولا من عالم الجن فهذا فرض العين من حققه ظفر وأحسن ظفراً منه من توسع في العلم فحقق فرض العين وما تيسر له من فروض الكفاية كالإفتاء والقضاء والدعوة والجهاد بالعلم الدائم وهذا لا يستطيعه إلا من

أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير " .
رواه الترمذي (٢٦٨٥) وقال عقبه : (حسن غريب صحيح) وصححه الألباني في تحقيقه عليه وكذلك في صحيح الجامع (٤٢١٣) ورواه الطبراني في الكبير (٧٩١٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع أيضاً (١٨٣٨) .

237 - دل على ذلك حديث جبريل عليه السلام لما أتى النبي في صورة رجل والحديث في الصحيحين عن أبي هريرة وفي مسلم بأتم منه عن عمر بن الخطاب وهذا نصه :" بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ » . قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي « يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ ». قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ " .

واصل التعليم[٢٣٨] ومذاكرة ومسائلة العلماء[٢٣٩] ووضع المكتبة المترلية في البيت[٢٤٠] يستطيع أن يكون عالماً ومعلماً ويكون قد أخذ حقه من هذا الميراث الذي هو ميراث أهل العلم[٢٤١] ورثوه عن نبيهم محمد – صلى الله عليه وسلم – لذا قال الله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ أي قل يا محمد هذه سبيلي أي حفظ العلم والعمل بالعلم والدعوة إلى العلم ونشره هي[٢٤٢] السبيل والطريق الذي سلكه نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – قال ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ فكل من اتبع النبي – صلى الله عليه وسلم – فطلب العلم الشرعي من الكتاب والسنة وما استمد من الكتاب والسنة مما فيه البيان لما في الكتاب والسنة من كتب التفسير المعتبرة السليمة وكتب الحديث وكتب الفقه وكتب السير الصحيحة هذه مصادر للعلم الشرعي يطلب منها العلم ويؤخذ منها ويؤخذ عمن حققها وكتبها ونشرها ، فمن سعى في التحصيل والنشر فهو من أتباع

---

238 - أي جاهد نفسه في طلب العلم وسهر الليالي على ذلك ، وقد قال يحيى بن أبي كثير (لا يستطاع العلم براحة الجسم) وقال بعض السلف (بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى) وقال بعض الشعراء :

والمجد لا يشرى بقول كاذب إن كنت تبغي المجد يوماً فانصب

وقال بعضهم أيضاً :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

239 - وذلك من خلال الدروس العلمية سواء كانت خاصة أو عامة وعرض الأسئلة عليهم لمعرفة الحق والراجح والمرجوح من كلام أهل العلم .

240 - أي وضع المكتبة المترلية القائمة على منهج السلف وتفنيد كلام أهل البدع والأهواء ، وحري بالمرء في بداية الأمر أن يستشير أهل العلم فيما يشتريه ليضعه في مكتبته حتى لا يقع فيما لا تحمد عقباه فيشتري كتباً لأهل البدع والضلال ويتتلمذ عليها من حيث لا يدري وهو يظنها أنها الحق ! فيسأل أهل العلم الثقات لأنهم على بصيرة بهذا الأمور وما خاب ولا ندم من استشار الثقات من أهل العلم السائرين على منهج السلف الصالح .

241 - أي من واصل التعليم ومذاكرة ومسائلة العلماء وإعداد المكتبة المترلية والنظر في كلام أهل العلم يستطيع بتوفيق الله تبارك وتعالى له أن يكون من العلماء ومن المعلمين للناس الخير .

242 - كذا قال ؛ والصواب هو .

النبي – صلى الله عليه وسلم – تحصيل العلم للعمل به والدعوة إليه احتساباً لوجه الله تبارك وتعالى ، ويعتبر رحمة كل داعية إلى الكتاب والسنة بالفهم الصحيح فهو رحمة على الناس لأنه يأمرهم وينهاهم يأمرهم بما أمر الله عز وجل وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام وفي امتثال الأوامر من الخير الكثير والجزاء الأوفى عند الله عز وجل واجتناب النواهي كذلك إجلالاً لله وخوفاً من عقوباته التي تترتب على فعل المآثم والمحارم والمنكرات أقوالها وأفعالها فإذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام بين الله بأنهم رحمة للأمة فالعلماء في كل زمان ومكان رحمة للأمة إذا قاموا بالحق الذي واجب عليهم لأن الله أخذ الميثاق على العلماء أن يعلموا ولا يستطيع أن يعلم الإنسان إلا بعد أن يعلم قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[٢٤٣] فأمر الله بالبيان ونهى عن الكتمان[٢٤٤] ، والبيان لابد أن يكون بالفهم الصحيح[٢٤٥] ،

---

243 - (سورة آل عمران آية : ١٨٧) . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢ / ١٨٠ - ١٨١) : (هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب ، الذين أخَذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وأن ينوهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهبة من أمره ، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والحظ الدنيوي السخيف ، فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بيعتهم . وفي هذا تَحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم ، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئاً ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :" من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ".)اهـ

244 - وذلك في قوله تعالى ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ فمن كتم علماً نافعاً عن الناس وهم يحتاجون إليه فقد عصى الله رب العالمين ومن عصى رب العالمين كان مستحقاً للعقوبة ، وهناك وعيد شديد كذلك ورد في السنة النبوية لمن كتم علماً نافعاً يحتاج الناس إليه فقد صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :" من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار " رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٣٩٩ نسخة نعيم بن حماد) وأحمد (١٠٤٢٠) وابن أبي شيبة (٢٦٤٥٣) وأبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وابن ماجه (٢٦٤) وابن

والفهم الصحيح لا يحصل لأحد إلا بالتعلم من أهل العلم الأصاغر عن الأكابر[٢٤٦] وقليل العلم يأخذ عن كثير العلم[٢٤٧] كما هو معروف لدى العقلاء من الناس أن العلم بالتعلم[٢٤٨] ولا يكفى أن يقرأ الكتاب بل لابد من أخذ العلم على معلم[٢٤٩]

حبان (٩٥ ، ٩٦) والطبراني في الكبير (٨٢٥١ ، ١٠٠٨٩) وفي الأوسط (٣٣٢٢) والصغير (١٦٠، ٣١٥ ، ٤٥٢) والحاكم في المستدرك (٣٤٤) وقال : (وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)اهـ ووافقه الذهبي . ورواه القضاعي في مسند الشهاب (٤٣٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٩٦٩) وصححه الألباني في المشكاة (٢٢٣) وقال : (وقد أعل بالانقطاع وليس بشيء)اهـ

245 - والفهم الصحيح هو الموافق لما كان عليه أئمة السلف الصالح والسائرون على نهجهم من بعدهم ، وأما فهم من عداهم فهو فهم رديء وفاسد لا ينبغي أن يصار إليه ولا يعمل به إذ كل خير في اتباع من سلف كما قال القائل :

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

فمن رام العمل بالفهم الرديء وترك ما عليه السلف الكرام ضل وشقي في الدنيا والآخرة عياذاً بالله تعالى .

246 - نعم صحيح يستفيد طالب العلم الصغير من العالم الكبير لأنه أسبق منه في الطلب .

247 - لأنه إما لكونه سبقه في الطلب فاطلع على ما لم يطلع عليه وإما لعلو همته فقد يكون الصغير ذا همة عالية فيفوق من هو أكبر منه سناً ويتقدم عليه في العلم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

248 - وذلك لحديث :" إنما العلم بالتعلم " رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم في كتاب العلم (باب العلم قبل القول والعمل ...) وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ١٦١) طبعة دار الفكر ، ورواه أبو خيثمة في كتاب العلم (١١٤) والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٩٥ ح ٩٢٩) وفي الأوسط (٢٦٦٣) وفي مسند الشاميين (٧٥٨ ، ٢١٠٣) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٢) وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٧٤) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٩٠٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٥٤) وصححه الألباني في تحقيقه على كتاب العلم لأبي خيثمة وحسنه في الصحيحة (٣٤٢) وفي صحيح الجامع (٢٣٢٨) .

فعلى طال العلم أن يقبل إقبالاً كلياً على تعلم العلم الشرعي ويجد ويجتهد في تحصيله فإنه باب عظيم وقد قال بعض السلف الصالح (العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك) فمن أخلص لله

والكتب من الوسائل التي تعين الإنسان على التوسع في العلوم الشرعية لذا جاء هـــذا الأمر الكريم من الله تبارك وتعالى للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولأتباعه ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ أي علم ويقين لاشك فيه[٢٥٠] ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ وهذا عام في كل أتباع رسول الله عليه الصلاة والسلام من يوم بعثتـــه إلى أن تقـــوم الساعة كلهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام فمن أخذ طريقه فقد اتبعه ، ومن أعرض عنها هلك .

في معنى هذه الآية الكريمة قول الله نبارك وتعالى ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢٥١] وقـــد فسرها النبي – صلى الله عليه وسلم – بالقول والفعل ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ هذا الإسلام الذي جاء به القرآن والسنة هو الصراط أي الطريق الموصل إلى رضا الله ودار كرامته مستقيم لا عوج فيه من سلكه أوصله إلى دار الكرامة يعيش في الدنيا في ظله عالماً به ، عاملاً بمقتضاه ، داعياً إليه ، ويقدم على الله تبارك وتعالى فيثبتـــه علـــى

وبذل الجهود في تعلم العلم العلم فهو الموفق والسعيد بنيله ورضا الله تبارك وتعالى وحاز الأجر في الدنيا والآخرة .

249 - نعم صحيح لا ينبغي لطالب العلم أن يستقل بالكتب عن العلماء في بداية طلبه للعلم فإنه متى استقل بالكتب عن العلماء فسر الأدلة بفهمه القاصر فيضل عن الطريق الصحيح لذا حـــذر السلف قديماً من التشيخ على الكتب فقالوا :

- من البلية تشيخ الصحفية .
- من كان شيخه كتابه غلب خطؤه صوابه .
- من دخل في العلم وحده خرج من منه وحده .
- من دخل في العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم .

وغير ذلك من كلامهم ، فالواجب على الطالب أن يلزم غرز العلماء ويفقه الأدلة منـــهم علـــى وجهها الصحيح حتى لا يفهم الأدلة فهماً مغلوطاً ومن ثم يدعوا الناس لذاك الفهم المغلوط فيفسد أكثر مما يصلح وهو لا يدري .

250 - أي المراد بالبصيرة : علم ويقين لاشك فيه .

251 - (سورة الأنعام آية : ١٥٣) .

الصراط الحسي ويكون فيما أعده الله عز وجل في أهل اتباع الصراط المستقيم ، فخط النبي – صلى الله عليه وسلم – خطاً مستقيماً وخط بجانبه عن يمينه وشماله خطوطاً فقال : هذا سبيل الله وضع يده على الخط الأوسط وقال هذا سبيل الله ، وقال عن الخطوط التي عن يمينه وشماله : وهذه خطوط على كل واحد منها شيطان يدعوا إليها "[٢٥٢] فالمراد أن من انحرف عن الصراط المستقيم إلى الكفر والبدع المضلة والأهواء فقد ترك الصراط المستقيم الموصل إلى الله وإلى دار كرامته وعدل استجابة لشياطين الإنس والجن إلى الخطوط المنحرفة التي تدعوا إليها شياطين الإنس والجن .

والحمد لله بين الله لنا في القرآن كل ما تحتاج إليه البشرية بل عالم الإنس والجن[٢٥٣] ؛ من طلب ذلك وجده وبين النبي – صلى الله عليه وسلم – في سنته أكمل بيان للأمة لألا تضل وتعدل عن الصراط المستقيم تضافرت نصوص الكتاب والسنة على دعوة الخلق إلى سلوك الصراط المستقيم والحذر كل الحذر من الطرق المعوجة التي تخالف

---

252 - صحيح : رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٤١) وأحمد (٤١٤٢ ، ٤٤٣٧) والنسائي في الكبرى (١١١٠٩) وابن ماجه (١١) وصححه الألباني ، والدارمي (٢٠٨) وابن أبي عاصم في السنة (١٦) ورواه ابن حبان (٦) والبزار (١٦٧٧) والمسند للشاشي (٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩) وأبونعيم في الحلية (٦/ ٢٦٣) والحاكم (٢٩٣٨) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وقال الألباني في التعليقات الحسان : حسن صحيح ، وكذلك صححه في ظلال الجنة (١٦) .

253 - وهذا يدل على كمال الشريعة الإسلامية وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ وفي صحيح مسلم (١٨٤٤) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم " وصح عنه أيضاً أنه قال :" والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة إلا نهيتكم عنه " راجع الكتب التالية للألباني : الصحيحة (١٨٠٣) ، وتحريم آلات الطرب (ص : ١٧٦) وحجة النبي (ص : ١٠٣) .

الصراط المستقيم ؛ طرق أهل الشرك وأهل الكفر وأهل البدع المضلة وأهل التحزبات المقيتة وأهل المجاهرة بالمعاصي ، لأن التمسك بالصراط المستقيم فيه رضا الله تبارك وتعالى وفيه سعادة العبد في دنياه وبرزخه وأخراه ، وما حياة العمل إلا حياة قصيرة[٢٥٤] من استثمرها فيما يصلح شأن دينه بالدرجة الأولى وشأن دنياه التي هي وسيلة من الوسائل يستعين بها على هذا الأمر المهم ليعبد الله عالماً بحقه ، ما لكم من الحقوق علينا محتسباً مخلصاً في ذلك يرجوا رحمت الله ويخشى عقوبته .

والحمد لله أنتم أيها الحاضرون[٢٥٥] من طلاب العلم يجب أن نخلص في الطلب[٢٥٦] وأن يكون القصد حسناً والنية خالصة في الطلب فيكتب الله عز وجل لنا ولكم الأجر العظيم والرحمة ؛ ننوي العمل بما علمنا ونشر ما علمنا فنكون قد حققنا ما يجب علينا وما يكون في ميزان الحسنات فأشرف الأعمال وأجلها كما ذكرت آنفاً طلب العلم ونشر العلم والإخلاص فيه ابتغاء مرضاة الله فمن فعل ذلك فهو من أتباع النبي – صلى الله عليه وسلم – الذين قال فيهم ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

---

254 - وذلك لأن الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة كما قال تعالى (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) قال ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ٦٠) : (وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها)اهـ وقال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٢٩٤) : (أي الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد)اهـ.

255 - أي الحاضرين للدورة القرعاوية للاستفادة منها .

256 - الإخلاص أمر لابد منه في طلب العلم وغيره فمن لم يخلص لله في عمله رجع وبال ذلك عليه ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ ولحديث :" إنما الأعمال بالنيات " متفق عليه ؛ رواه البخاري (١ ، ٥٤ ، ٢٥٢٩ ، ٣٨٩٨ ، ٥٠٧٠ ، ٦٦٨٩ ، ٦٩٥٣) ومسلم (١٩٠٧) .

وحياكم الله وإذا ابتدأت دروس الدورة تتضافر الجهود ونهتم بها وما هي[٢٥٧] إلا وقت قصير[٢٥٨] يجتمع فيه طلبة العلم ويستفيد بعضهم من بعض ويعزمون على أن تكـــون بقية الحياة طلباً للعلم ونشراً له مع القيام بشؤونهم التي لا غنى لهم عنها مـــن المأكـــل والمشرب[٢٥٩] ونحو ذلك مما يحتاج إليه المسلم ، وفقنا الله وإياكم لما فيه رضاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٢٦٠] .

õ õ õ

257 - أي الدورة القرعاوية .

258 - لأن مدتها أسبوعان فقط .

259 - وقد قال الإمام أحمد – رحمه الله – : الناس يحتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب .

260 - وهذا آخر ما تفضل به شيخنا – حفظه الله – في درسه وبذلك تنتهي تعليقـــات العبـــد الفقير على هذا السفر النافع فجزى الله شيخنا على ما تفضل به من علم خير الجزاء ووفقه لمـــا يحب ويرضى ، ونسأل الله أن يطيل عمره ويحسن عمله وينفع به جميع المسلمين ، وآخر دعوانـــا أن الحمد لله رب العالمين .

كلمة في رثاء شيخنا العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

كتبها

أبو عبد الله

وائل بن علي بن أحمد الأثري

كلمة في رثاء شيخنا العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتـــابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فقد اتصل علي بعض الإخوة الأحبة ضحى هذا اليوم وفجعني بخبر وفاة شيخنا العلامة الأصولي الفقيه / زيد بن محمد بن هادي المدخلي ؛ رحمه الله وأدخله فسيح جناته .

والحقيقة أقول :

إن هذا الخبر قد نزل علي كالصاعقة فأخذت أردد قول (إنا لله وإنا إليه راجعـــون) وقد انهمرت عيناي بالبكاء وذلك لحبي الشديد لهذا العالم الكبير ومدى حرصي علـــى الاستفادة منه ، فمنذ أن عرفت مكانته العلمية وأتمنى أن ألتقي به ولكن قدر الله ومـــا شاء فعل . ولا أملك إلا أن أقول :

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا على فراقـــك يـــا شيخنا لمحزونون ، ونقول : اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منها .

ولا شك أن موته فجيعة عظمى ومصيبة كبرى من أكبر المصائب ولموت قبيلة أيسر من موت عالم ، إذ بموت العلماء يقل العلم ويكثر الجهل والداعون إليه .

وقد روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن عمـــرو بـــن العاص أنه قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول :« إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »[٢٦١] . لـــذا فـــإن السلف الصالح كانوا يحزنون على موت العالم السلفي ويدل على ذلك كلامهم الكثير

261 - متفق عليه : رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) .

في هذا الشأن ومن جملة كلامهم قول الحسن البصري – رحمه الله – : كانوا يقولون موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار[٢٦٢].

وقول أيوب السختياني : إنَّه ليَبلُغني موتُ الرَّجل من أهل السُّنَّة، فكأنَّما سقط عضوٌ من أعضائي .

وقول بعضهم : موت العالم مصيبة لا تجبر ، وثلمة لا تسد ، وهو نجم طمس ، موت قبيلة أيسر من موت عالم[٢٦٣] .

قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة : (لما كان صلاح الوجود بالعلماء ولولاهم كان الناس كالبهائم بل أسوأ حالاً كان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره له ، وأيضاً فإن العلماء هم الذين يسوسون العباد والبلاد والممالك فموتهم فساد لنظام العالم ولهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خالفاً عن سالف يحفظ بهم دينه وكتابه وعباده ، وتأمل إذا كان في الوجود رجل قد فاق العالم في الغنى والكرم وحاجتهم إلى ما عنده شديدة وهو محسن إليهم بكل ممكن ثم مات وانقطعت عنهم تلك المادة فموت العالم أعظم مصيبة من موت مثل هذا بكثير ومثل هذا يموت بموته أمم وخلائق كما قيل :

تعلم ما الرزية فقد مال
ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر
يموت بموته بشر كثير

وقال آخر :

فما كان قيس هلكه هلك واحد

---

262 - تنبيه : يروى هذا القول مرفوعاً إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ولكنه لا يصح ، قال الألباني في الضعيفة (٤٦٦٨) موضوع .

263 - تنبيه : يروى هذا القول مرفوعاً إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ولكنه لا يصح ، قال الألباني في الضعيفة (٤٨٣٨) ضعيف جداً .

ولكنـــــــه بنيـــــــان قـــــــوم تهـــــــدما)[٢٦٤]

ولقد ذكرني حزني هذا على شيخنا زيد – رحمه الله – بالأبيات التي قالها مـتمم بـن نويرة يرثي بها أخاه مالكاً :

لقـــــد لامـــــني عنـــــد القبـــــور علـــــى البكـــــا

رفيقـــــي لتـــــذراف الـــــدموع الـــــسوافك

فقـــــال أتبكـــــي كـــــل قـــــبر رأيتـــــه

لقـــــبرٍ ثـــــوى بـــــين اللِّـــــوى فالـــــدوانك[٢٦٥]

فقلـــــت لـــــه إن الـــــشجا يبعـــــث الـــــشجا

فـــــدعني فهـــــذا كلـــــه قـــــبر مالـــــك

وإنني أرثيه في هذا الموطن بمثل الأبيات الجميلة الرائعة التي قالها في رثاء سماحة الـشيخ العلامة عبد العزيز بن باز – رحمه الله – وقد قمت بتغيير ما يلزم ونبهت على ذلك في الحاشية :

يوم الخميس[٢٦٦] أتانا النعي مـع أسـفٍ مات الوقور عظيم الفـضل والـشيّم

(زيد بن هادي)[٢٦٧] إمام الخير في زمن قلّ الهداة وقـلّ الفقـه مـع قـيم

(زيد بن هادي)[٢٦٨] غزيـر العلـم ذو وكم لـه في وجوه الخير مـن قـدم

بـالعلم أوصـى بـلا حـدٍّ ولا ملـل بذا شـهدنا ورب اللـوح والقلـم

كم ظلّ يدعو إلى الإحسان مـع وجـل ونصره الحق لا يخفى علـى الفهـم

---

264 - مفتاح دار السعادة (١ / ١٨٣ - ١٨٤) طبعة دار عالم الفوائد .

265 - وفي بعض النسخ : فالدكادك .

٢٦٦ - علق الشيخ زيد بقوله : (الموافق للسابع والعشرين من شهر الله الْمُحرم (١٤٢٠) للهجرة النبوية.)اهـ

قلت : والعجيب أن يتوافق ذلك مع وفاة شيخنا زيد رحمه الله : الخميس الموافق للثاني عشر من شهر جمادى الأول ١٤٣٥هـ .

267 - في الأصل : عبد العزيز .

268 - في الأصل : عبد العزيز .

ما كان يسعى لجمع المال أو حلل ... حاش الكريم رفيع القدر والحكم
بل كان يسعى لنشر العلم في دأب ... نعم الحبيب شهير البر بالأمم
ما كان يدعو كذي عنف ولا صلف ... ولا التظاهر يرضى ويح كل عمي
بل كان يدعو لفقه الدين مع أدب ... أمرًا ونَهيًا ألا طوبى لمقتسم
قد زانه العلم ثم الحلم مع عمل ... ودعوة النور دأب العالم العلم
لم تبصر العين ذا فضل وذا رشد ... مثل الفقيد فقيد الفضل والكرم
كم حائر جاهل بالحق ذي قلق ... أسدى له النصح في فصل من الكلم
وكم قضايا لأهل الأرض غامضة ... قد حلّها الشيخ بالقسطاس والحكم
وسنة الخير قد أحيا بلا شطط ... وبدعة السوء قد أجلى عن الأمم[٢٦٩]
ومنبر الخير قد نادى على عجل ... أين الإمام غزير العلم مع همم
أين الإمام ضجيع البر ذو شرف ... وناشر العلم والترتيل في الظلم
يبكيه فقه وطرف الخل في أرق ... والثغر يبكي ومن يمشي على قدم
قلنا اصطبارًا فكم في الدهر من عبر ... وسلموا الأمر للرحمن ذي الحكم
فكل حي من الأحيا إلى أجل ... ورحلة الموت قد تأتي فلا تَهم
والكامل الله في ذات وفي صفة ... له البقاء عظيم الشأن والنعم
والرب أرجو لمن أرثيه مغفرة ... فهو الرحيم ومنشي الكون من عدم
وجنة الخلد في الأخرى مباركة ... فيها الكمال ألا طوبى لملتزم
ثم الصلاة على المختار دائمة ... معها سلام كعدِّ الخلق كلهم

---

269 - حذفت ثلاثة أبيات تلي هذا البيت لعدم توافقها مع شيخنا وتناسبها مع الشيخ ابن باز وهذه هي الأبيات :

ومجمع الفقه والإفتاء في ملأ ... من صفوة الخلق والأحبار كلهم
لكن هو الرأس في قول وفي عمل ... ومرجع القوم بالإجماع فاحترم
والنور في الدرب من آي ومن أثر ... والشيخ فيه كضوء النار في القمم

والآل والصحب من كـــانوا عبـــــاقرة نعم الرجال رجال العـــلم والقـــــيم

وأرثيه أيضاً بمثل ما قاله في رثاء الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين – رحمـــه الله – وهي أبيات رائعة يتوافق مضمونها مع ما نجده تجاه فقيدنا العزيز الغالي :

بكت عـــيني علـــى شـــهم تقـــي على نـــور العقيـــدة قـــد أقامـــا

فلطفًـــا يـــا ودود بـــشيخ علـــمٍ جليـــل القـــدر قوامًـــا إمامـــا

(وعنيت زيدًا)[270] يـــا قـــوم إني أسيف القلـــب حبًّـــا واحترامـــا

لقد نـــزل المـــصاب بكـــل فـــرد وعم الخطب في الـــدنيا ودامـــا

لقد عـــاش الهمـــام حيـــاة حـــبر لنـــشر العلـــم بـــدءًا واختتامـــا

صـــديق في النوائـــب مثـــل بحـــرٍ يواسي معـــدمًا يرجـــو ســـلاما

كـــريم في التعامـــل مثـــل غيـــثٍ كثير البـــشر يبتـــسم ابتـــساما

صـــريح في النـــصائح دون ثلـــبٍ يقول الحـــق لا يخـــشى ملامـــا

وبحـــر في العلـــوم عميـــق غـــورٍ وعند البحـــث أصـــوبنا كلامـــا

محـــبٌّ للقـــران كـــثير ذكـــرٍ وبالآثـــار أكثرنـــا اهتمامـــا

رحيم بالـــضعيف خفـــي عطـــفٍ وحسن الـــبر يقـــتحم اقتحامـــا

حكـــيم في المـــواعظ والوصـــايا ونـــور الحـــق يُرســـله ســـهاما

لقـــد كـــان المقـــدم في المزايـــا كضوء البـــدر إذ يغـــدو تمامـــا

ســـليم الـــصدر أواه منيـــب علـــى الإيمـــان شمـــر واســـتقاما

ونـــصر الـــدين يبذلـــه بحـــزم وبغض الظلم كان لـــه وســـاما

عرفت الشيخ مـــن دهـــر مديـــد منارًا في الزمـــان وقـــد تـــسامى

فقيـــد الفـــضل ذو صـــبر وحلـــم نزيه الثـــوب زهـــدًا واحتـــشاما

بكتـــه منـــابر وبكتـــه كتـــب ودمع الخـــل ينحـــدر انتظامـــا

بكـــاه الـــصالحون بكـــل قطـــر كذاك الأرض تبكي مـــن أقامـــا

حقوق الـــرب في عـــسر ويـــسر كنهج الشيخ بالرســـل ائتمامـــا

---

270 - في الأصل : عنيت محمداً .

سأذكر فضله ما دمت حيًّا ضجيع الشرع حكمًا واحتكاما
رزايا الموت تترى كل حين قضاء الله لا يبقي العظاما
فصبرًا يا بني الإسلام صبرًا وآل الشيخ أوصيهم دواما
بحسن البر من قول وفعل وبالطاعات حبًّا واعتصاما
ولست مبالغًا في نعت شيخي كفاه العلم يرفعه مقاما
ويا رباه ألهمنا اصطبارًا على المقدور نحتسب الْهُماما
وصلى الله والأملاك جمعًا على المختار طوعًا واحتراما
وسلم يا إلهي دون حصر على من كان للدنيا إماما
رسول الخلق ذي شرف وفضل ومن بالحق يلتزم التزاما

وأرثيه أيضاً بمثل ما قاله في رثاء الشيخ العلامة محمد بن أمان الجامي – رحمه الله – :

بكت عيني وحق لها البكاء وقال القلب (للزَّيد)[٢٧١] الدعاء
فنصف القرن في الإصلاح دومًا لتهنا ذخره نعم العطاء
وكم واجهت من فكر خطير لنشر الشر يعقبه البلاء
فقمت بنسفه حقًّا وقسطًا فبان الحق وارتفع اللواء
وكم من شبهة جالت فمالت بأهل الجهل يحملها النداء
فقمت بدحضها صدقًا وعدلًا فزال الجهل وانكشف الغطاء
بكتك منابر وبكتك كتب فقيد الفضل شيمتك الحياء
هززت منابرًا بالوعظ ذكرى ونصح الخلق يصحبه الرجاء
رماك المغرضون بكل سوء وحاشا القرم بل ذاك ابتلاء
ملأت قلوبنا يا شيخ حزنًا وعند الله يحتسب الجزاء
رزايا الموت تترى كل حين وكل الخلق في هذا سواء
فصبرًا يا دعاة الحق صبرًا وسدوا الثغر أنتم أولياء
وخصوا ذا الفقيد بطيب قول دعاء خالصًا معه الثناء

271 - في الأصل : للجامي .

فـــأنتم بالعدالـــة قـــد ذكـــرتم سراة الجيـــل لـــيس بكـــم خفـــاء
ألظّـــوا بالـــدعاء فقـــد ســـعدتم بحـــسن النـــهج يـــصحبه النقـــاء
ففـــضل الله مـــدرار رحيـــب وحـــزب الله بينـــهم الـــولاء
ويا ربـــاه ألـــهمـــنا اصطبـــارًا على الـــمقدور إذ نفذ القـــضـــاء

وأرثيه أيضاً بمثل ما قاله في رثاء الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم :

عيـــونٌ بكتـــك رفيـــع المقـــامْ عنيتُ بشعري (زيـــد الهمـــامْ)[٢٧٢]
وشـــيخ الـــشباب رفيـــق العظـــامْ ضـــجيع العلـــوم بكـــل اهتمـــامْ
بكـــاء المنـــابر يـــا ابـــن الكـــرامْ عليـــك شـــهيرٌ لطيـــب الكـــلامْ
حبـــاك الإلـــه بحـــسن الختـــامْ ثنـــاء الخليقـــة خـــير الوســـامْ
وربي سألتُ (لزيـــد الهمـــامْ)[٢٧٣] رفيـــع الجنـــان وأعلـــى مقـــامْ

والحقيقة أقول :

إن الكلام على شيخنا زيد – رحمه الله – ذو شجون ، كيف لا وهو أول عالم أتواصل معه في دروسه وتكون لي معه أسئلة وذلك عندما علمت بأن دروسه العلميـــة تنقـــل وتذاع مباشرة عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) في غرفة على برنـــامج البـــالتوك والبيالوكس والموقع الرسمي له ؛ فدخلت خصيصاً لمتابعة الشيخ وحرصت على حضور الدروس المباشرة وتواصلت مع الإخوة الذين ينقلون الدروس من مسجد الـــشيخ في الغرفة الصوتية وكانوا عدة فصارت هناك علاقة مع كثير منهم وعلى رأســـهم ابـــن الشيخ الأخ الحبيب علي بن زيد المدخلي وفقه الله لكل خير .

272 - في الأصل : عبد السلام .
273 - في الأصل : لعبد السلام .

وقد زادت العلاقة مع الأخ علي بن زيد حتى إننا كنا نتحدث لأوقات طويلة بعد درس العشاء وبالليل وقد لمست منه أدباً جماً وتواضعاً كبيراً والحقيقة أن الشيء من معدنه لا يستغرب فهو ابن شيخنا – رحمه الله – وهو العالم الرباني .

وقد عرف الأخ علي مدى حبي لأبيه الشيخ زيد ومدى حرصي على متابعة درسه المباشر خاصة وقد أبنت له شيئاً من ذلك فقلت له لو أن المرء يستطيع أن يهب عمره لأحد لوهبت عمري للشيخ زيد فإن حياته أنفع للإسلام والمسلمين من حياة مثلي فشكرني بكلمات طيبة على هذه الكلمات .

وقد أخبرت الأخ علياً كذلك أنني أفرغ أجوبة شيخنا زيد على أسئلتي التي يجيب عليها ففرح جداً ، فقلت له أتمنى لو تتيح لي الفرصة ليتم عرض الكثير من أسئلتي على الشيخ فأتاح لي الفرصة بالفعل فكان يعرض غالباً في كل درس ثلاثة أسئلة إذا أتيح المجال لذلك ، وقد أريته نماذج من تفريغ أجوبة الشيخ على أسئلتي ففرح بذلك جداً وقد أعطيته تفريغ إحدى وخمسين فتوى وكان ذلك في أواخر شهور عام ١٤٣٠هـ وذكر الأخ علي آنذاك بأن هذه الأسئلة ستكون إن شاء الله في الجزء الرابع من كتاب الشيخ (العقد المنضد) وقد ذكرت له بعد ذلك أن التفريغات زادت عندي على هذا العدد بكثير ، فطلب مني إرسالها وشكرني على ذلك وقال جزاك الله خيراً على نيتك الطيبة .

كما أن الأخ علياً ومن معه في الغرفة الصوتية لما رأوا معرفتي بهذه البرامج على الشبكة جعلوني مشرفاً في غرفة الشيخ وكذلك مشرفاً على موقع الشيخ .

وقد كان الشيخ – رحمه الله – حريصاً على اتباع السنة وداعياً إليها ، وداحضاً للبدعة ومحذراً منها ومن الوقوع فيها ، وكان يحرص على اتباع الدليل الصحيح فلم يكن يتعصب لقول فلان أو علان وإنما يرجح ما رجحه الدليل الصحيح فلم يكن مقلداً وإنما كان مجتهداً محققاً نقاداً بصيراً بأقوال أهل العلم ويرجح بالدليل الصحيح بعيداً عن الاستدلال بالأحاديث الضعيفة وكان يحب متابعة الشيخ الألباني – رحمه الله – في أحكامه على الأحاديث .

فهو بحق يعتبر إماماً من أئمة العصر وجبلاً من جبال العلم الشرعي في العقيدة والتفسير والحديث والفقه والأصول والشعر فهو موسوعة علمية بحق وصدق وكتبه ودروسه أكبر دليل على صحة ذلك .

وقد أعجبني الشيخ زيد – رحمه الله – لأنه من الراسخين في العلم على عقيدة السلف الصالح ومنهجهم القويم ، وقد كان من المدافعين عن العقيدة والمنهج الصحيح ، وردوده على المخالفين من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين أكثر من أن تذكر ومن جملة ذلك رده على الخوارج في عديد من كتبه ودروسه بل لقد خصص كتاباً في الرد عليهم بعنوان (الإرهاب وآثاره على الأفراد والأمم) وهو جدير بأن يُدرس في كل مكان ليتم الانتفاع به على أكمل وجه ومن ثم يحظى المؤلف بالأجر ويستفيد الناس العلم الشرعي الصحيح .

وردوده على سيد قطب وحسن البنا وجماعة الإخوان والتبليغ والصوفية وغيرهم من الأحزاب والفرق كثيرة ووفيرة في كتبه ودروسه .

كما أنه اعتنى عناية كبيرة بقضية الإيمان والرد على المرجئة فقرر عقيدة السلف ورد على المرجئة وشبههم في كثير من كتبه ودروسه وقد وجهت إليه عدة أسئلة في ذلك وأجاب عليها بفضل الله تعالى الإجابة الصحيحة المسددة .

وقد كان الشيخ – رحمه الله – حكيماً فلم يكن يرد ردوداً خاصة على أهل البدع بأسمائهم إلا إذا استدعى الأمر ذلك حتى لا يصرفه ذلك عن طلب العلم وتدريسه العلوم الشرعية النافعة فلم يكن يدخل في القيل والقال كما يحدث الآن على الساحة وقد عرفت هذا من خلال حضور الدروس فكان أي سؤال به أسماء أشخاص لا يتم عرضه ويندر عرض الأسئلة التي تشتمل على ذكر أشخاص وقد عرفت أن هذه تعليمات الشيخ .

وقد اعتنيت بعلم الشيخ وبذلت جهدي في ذلك فحرصت على اقتناء مؤلفاته وسماع دروسه المباشرة والمسجلة وحصلت على ثلاث شهادات حضور للدورة القرعاوية ، ومن جملة عنايتي بعلمه أنني قمت بتفريغ عدد من دروسه بنفسي ، ومنها ما هو بالتعاون مع بعض محبيه ، ومن جملة عنايتي هذه الأبحاث :

١- تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ للشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي، تحقيق وتعليق .

٢- فقه الدعوة ونعوت الداعية للشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي، تحقيق وتعليق.

٣- الكلمة الختامية للدورة القرعاوية ١٤٣٢هـ للشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي، تحقيق وتعليق .

٤- لقاء الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي بطلبة العلم السلفيين بسوهاج عبر الهاتف، تحقيق وتعليق.

٥- سؤالاتي للشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي[٢٧٤] .

٦- التعليقات البهية على الوصية الصغرى لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي، تحقيق وتعليق .

٧- شرح منظومة منهج الحق للسعدي لفضيلة الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي ، تحقيق وتعليق . وغير ذلك .

وقد ترك الشيخ تراثاً علمياً نافعاً من خلال الدروس الصوتية المسجلة لذا فإنني أحث أبناءه على أن يعتنوا بتراث أبيهم فينشئوا مؤسسة علمية للشيخ أو حسبما يستطيعون فالمهم أن تستمر طباعة كتب الشيخ وأن يتم تفريغ الدروس والعناية بها لتطبع على الوجه الذي يرتضيه الشيخ لو كان حياً ، وفي نظري أن أكثر واحد لديه خبرة بذلك هو ولده الأخ علي فيما أعلم ؛ فكم قد اعتذر لي عن عدم رده علي بسبب شغله مع والده فهو أدرى بأبيه من غيره ، ولكن النصيحة له ولإخوته ألا يحجروا الأمر وأن يفتحوا المجال لطلاب العلم ليخرجوا تراث الشيخ وليشترطوا عليهم أن تكون المراجعة قبل النشر من قبلهم ، لكن لا تمنعوهم نهائياً فإن هذا سيصرف طلاب العلم عن تراثه كما حدث مع كثير من الشيوخ من قبله ، وإنني أول المرحبين بالتعاون معكم على

274 - انتهيت من الجزء الأول منه ويضم مائة سؤال لي قد تم عرضها على الشيخ – رحمه الله – في دروسه ، ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني نحوه تقريباً .

إخراج تراث شيخنا الحبيب رحمه الله ولكم أن تراجعوا الأبحاث المذكورة آنفاً ، حتى ينتفع الشيخ بعلمه بعد موته كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »[٢٧٥] .

قال ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة : (وهذا من أعظم الأدلة على شرف العلم وفضله وعظم ثمرته فإن ثوابه يصل إلى الرجل بعد موته ما دام ينتفع به فكأنه حي لم ينقطع عمله مع ماله من حياة الذكر والثناء فجريان أجره عليه إذا انقطع عن الناس ثواب أعمالهم حياة ثانية وخص النبي هذه الأشياء الثلاثة بوصول الثواب إلى الميت لأنه سبب لحصولها والعبد إذا باشر السبب الذي يتعلق به الأمر والنهي يترتب عليه مسببه وإن كان خارجا عن سعيه وكسبه فلما كان هو السبب في حصول هذا الولد الصالح والصدقة الجارية والعلم النافع جرى عليه ثوابه وأجره لتسببه فيه فالعبد إنما يثاب على ما باشره أو على ما تولد منه)[٢٧٦]اهـ

وقال أيضاً : (فالعالم بما جاء به الرسول العامل به أطوع في أهل الأرض من كل أحد فإذا مات أحيا الله ذكره ونشر له في العالمين أحسن الثناء . فالعالم بعد وفاته ميت وهو حي بين الناس ، والجاهل في حياته حي وهو ميت بين الناس كما قيل :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور

وقال الآخر :

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أموات

وقال آخر :

وما دام ذكر العبد بالفضل باقيا ... فذلك حي وهو في الترب هالك

---

275 - صحيح : رواه مسلم (١٦٣١) . تنبيه : يخطئ كثير من الناس فيورد الحديث بلفظ (إذا مات ابن آدم) والصواب ما أثبته .

276 ـ مفتاح دار السعادة (١ / ٥٠٠ - ٥٠١) .

ومن تأمل أحوال أئمة الإسلام كأئمة الحديث والفقه كيف هم تحت التراب وهم في العالمين كأنهم أحياء بينهم لم يفقدوا منهم إلا صورهم وإلا فذكرهم وحديثهم والثناء عليهم غير منقطع وهذه هي الحياة حقا حتى عد ذلك حياة ثانية)[٢٧٧]اهـ

لقد تمنيت كثيراً ودعوت الله أن يريني الشيخ زيداً ويقر عيني بذلك ولكن قدر الله وما شاء فعل ، لكن مما ينبغي التنبيه عليه أن يعلم الجميع أنني وكثير مثلي من طلبة العلم قد منعهم من ذلك عدم قدرتهم على الرحيل إلى الشيخ وغيره من أهل العلم فلو كنت مستطيعاً لما تأخرت البتة ، وعندما عجزت عن ذلك عملت بقول القائل :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وانطلاقاً من ذلك تواصلت عبر شبكة الإنترنت وحضرت دروس شيخنا المباشرة وكذلك دروس جملة غيره من أهل العلم ، وقد أرسلت الأربعة أبحاث الأول التي ذكرتها آنفاً من عملي وتحقيقي على بريد موقع الشيخ زيد – رحمه الله – وقد جرى اتصال بيني وبين الأخ الحبيب علي بن زيد وطلبت منه أن يطلع على هذه الأبحاث والتحقيقات وأخبرته بأن لدي أعمال أخرى للشيخ ؛ فطلب مني إرسالها إلى دار الميراث النبوي بالجزائر لأنها مسئولة عن كل أعمال الشيخ فقلت له أتمنى لو تطبع نسخة من الأبحاث وتطلع الشيخ عليها ، فقال هو يأخذ فقط ما يأتي من الجزائر[٢٧٨] أرسلها إليهم وسأكلمهم فأنا على تواصل معهم ، فأرسلتها إليهم وذلك منذ سنة ونصف تقريباً ولم يردوا علي إلى الآن ! ولا أدري هل تم عرض الأبحاث على شيخنا زيد – رحمه الله – أم لا ؟!

وقد طلبت أيضاً في هذا الاتصال أن يمكنني الأخ علي من مكالمة مع الشيخ زيد ولكنه ذكر أن هذا صعب لأن الجوال يؤذي أذن الشيخ ، فقلت له لو تفتح له السماعة الخارجية ، فقال والله لا يستطيع يؤذيه والله العظيم ، وذكر لي أنه سيبلغه سلامي .

وكم قد طلبت منه إيصال السلام لوالده في كثير من المحادثات بيننا ، وأكون سعيداً

---

277 ـ مفتاح دار السعادة (١ / ٣٨٧- ٣٨٨) .

278 ـ أي من دار الميراث النبوي .

جداً عندما يخبرني بأنه بلغ سلامي للشيخ وأن الشيخ يسلم علي وكذلك إذا أخبرني أي واحد من الإخوة الذين ينقلون الدرس في الغرفة ، ولقد سعدت جداً في بعض المرات عندما تكلمت مع الأخ أبي فهد وهو ممن كان ينقل الدرس المباشر في الغرفة فقلت له : ليتك تسلم لي على شيخنا زيد والأخ علي . فذكر أنه أوصل السلام وحلف بالله أنهما يسلمان علي ، فقلت له : جزاك الله خيراً ، أوصلته للشيخ زيد؟ فقال : نعم .

وذكر لي أنه أخبر الشيخ زيداً بما أقوم به من تفريغ أسئلتي التي يجيب عليها الشيخ في دروسه ؛ قال : والله دعا لك بخير ، ففرحت جداً بذلك وقلت إن الشيخ من العلماء الربانيين ولعل الله يستجيب دعاءه .

وفي مرة افتتح الشيخ جوابه على سؤال من أسئلتي بقوله :(أولاً نهنئ أخانا بما هو عليه من منهج السلف الصالح الذين ليس لهم مصدر في أخذ العلم المتعلق بالعقيدة والمتعلق بالشريعة ومنها السلوك العملي ؛ أهنئه بذلك فَلْيَدُم على ما هو عليه ، وعليه أن يدعوا إلى منهج أهل السنة والجماعة عقيدة وشريعة بالفهم الصحيح وبالأسلوب الطيب الذي يكون سبباً في استمالة القلوب ، لأنه لا يملك أكثر من ذلك)اهـ

وفي مرة طلبت منه كلمة تحذيرية من الدعاة القصاصين فقال : (هو الآن السؤال يدل على علم عنده بأن الدعاة القصاصين الذين يعتمدون على القصص وليس عندهم أدلة شرعية من الكتاب والسنة أنه لا يستفاد منهم ولا من قصصهم ، وكان السلف يعرضون عنهم ولا يعتبرونهم من الدعاة الذين ينتفع بدعوتهم فالحذر منهم .)اهـ

وفي بعض المرات لما أخبره الأخ علي بأنني أفرغ الإجابة فقال شيخنا : إنسان ينوي الخير ، ولا شك أن هذا كان يفرحني كثيراً بفضل الله تبارك وتعالى .

وقد تميزت كتب الشيخ ودروسه بسهولتها وجمال عبارتها وترتيبها الحسن الذي يدل على تمكن صاحبها فيما يكتب ، وقد شرح شيخنا كثيراً من الكتب العلمية التي تدل على رسوخ قدمه واعتنى عناية كبيرة بكتب العقيدة فشرح جملة كبيرة من كتب المتقدمين والمتأخرين وقرر عقيدة السلف ورد على أهل الأهواء ، وكذلك شرح جملة من كتب الحديث والفقه والأصول وعلق على بعض كتب التفسير كتفسير ابن كثير

وتفسير السعدي وأضواء البيان .

وأخيراً : فكما قلت آنفاً إن الكلام ذو شجون لكن لعل فيما ذكرت الكفاية ليعلم الجميع مدى حبي له وتعلقي الكبير به وقد طلبت من بعض الإخوة منذ قرابة شهرين أن يصور الأبحاث التي أعددتها للشيخ ونشرتها على موقعي على شبكة الإنترنت وصفحتي على الفيس بوك ويوصلها إليه ويسلمها له في يده ولكنه تعذر له الذهاب وكنت ناوياً الذهاب إلى عمرة قريباً إن شاء الله ومن ثم أذهب إليه بنفسي ولكن قدر الله وما شاء فعل ، وبسبب كل هذه الأسباب حق لي أن أحزن كل هذا الحزن على وفاة شيخنا الحبيب وأتمثل قول :

فما كان زيد[٢٧٩] هلكه هلك ولكنه بنيان قوم تهدما واحد

وبسبب هذا المصاب الجلل وهو وفاة شيخنا العلامة زيد المدخلي ؛ فإني أحث نفسي وطلاب العلم الشرعي أن يجدوا ويجتهدوا في تحصيل العلم الشرعي ويخلصوا فيه النية لله تبارك وتعالى فالعلم شرفه عظيم ولا يعدله شيء لمن صحت نيته وذلك بأن ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره من المسلمين فالناس يحتاجون للعلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، وأهل الباطل مجدون في نشر باطلهم فينبغي على أهل الحق أن يجدوا في نشر ما عندهم حتى يقضوا على الباطل وأهله .

وليعلم الطالب اللبيب أن الرجل إذا مات انقطع ذكره وقلَّ من يذكره إلا صاحب العلم الشرعي على منهج السلف الصالح فإن ذكره يجري على ألسنة أهل العلم وغيرهم ويترحمون عليه ليلاً ونهاراً وكلما عمل أحد بشيء قد استفاده منه فإنه يأخذ أجراً على ذلك كما تقدم وهذا شرف كبير لصاحبه ، ولهذا قال القائل :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء

---

279 - في أصل البيت كلمة (قيس) فاستبدلتها بكلمة (زيد) وهو اسم شيخنا – رحمه الله – وهي على نفس الوزن .

وقدر كل امرئ مـــا كـــان يحـــسنه والجـــاهلون لأهـــل العلـــم أعـــداء

ففز بعلم تعـــش حيـــاً بـــه أبـــدا الناس موتى وأهـــل العلـــم أحيـــاء

والشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي من الراسخين في العلم ونحـــسبه مـــن المخلصين ولا نزكي على الله أحداً ، وسيذكر بكل جميل عند من يعرف لأهل العلـــم مكانتهم وإذا ثبت خطؤه في شيء من المسائل فإن الخطأ يجتنب منه ومن غيره من أهل العلم السائرين على منهج السلف الصالح وتحفظ كرامته لأنه معروف بسلفيته ودفاعه عن عقيدة ومنهج السلف .

نسأل الله تعالى أن يتغمد الشيخ برحمته ويدخله فسيح جناته مع النبـــيين والـــصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

الخميس : ١٢ / جمادى الأولى / ١٤٣٥هـ

الموافق : ١٣ / مارس / ٢٠١٤م

alsalafy1433@hotmail.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة .	٢
لقاء الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلى بطلبة العلم السلفيين بسوهاج عبر الهاتف .	٤
فقه الدعوة ونعوت الداعية .	٢٦
الكلمة الختامية للدورة القرعاوية لعام ١٤٣٢هـ .	٥٩
تفسير قوله تعالى (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) .	٧٤
كلمة في رثاء شيخنا العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي .	٩٢